

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة
كلية أصول

السنة الأولى ل.م.د

السداسي الأول

مادة : المدخل إلى علوم الإعلام والاتصال

إعداد الأستاذة: ليلي فيلالي

السنة الجامعية : 2010-2011.

المدخل إلى علوم الإعلام والاتصال

أولاً: نبذة تاريخية عن وسائل الاتصال:

إن تراكم وسائل الاتصال عبر تاريخ الإنسان طويل بدء من الاتصال الشفهي ومروراً بالكتابة وحتى ظهور شبكات التلفزيون الرقمية ما هو إلا ترجمة دقيقة لتعدد الحاجات الإعلامية والاتصالية للإنسان في مراحل تطوره منذ فجر التاريخ. والمقارنة بين النقوش التي خلفها البدائيون على جدران وأسقف كهوفهم وبين رسائل الأقمار الصناعية التي تجوب المدارات الفضائية حول الأرض من وجهة نظر اتصالية تعكس إلى حدود بعيدة الفرق بين حاجات الإنسان الاتصالية في فجر التاريخ وبين الحاجات الاتصالية للإنسان المعاصر. ولقد كانت كل وسيلة اتصال جديدة يبتكرها الإنسان هي بمثابة تعبير عن حاجة اجتماعية ملحة تمكنه من التطور والرقى.

فمن المعروف أن هناك عدة تقسيمات للزمن التاريخي تمكن من تتبع تطور ظاهرة الاتصال منذ ظهور المجتمعات البدائية الأولى، وذلك عبر وسائل وتقنيات مضاعفة الرسائل (الكلمة، الإشارة، الخطاب، الكتابة، البريد، التنظيمات الدينية، الخ...).

و بخلاف الاقتصاديين يعمل المؤرخون عادة بثلاث دورات زمنية، فتحليلهم للتاريخ يتمحور حول زمن ثلاثي: أول دوراته طويلة أو بنيوي (قد يتوافق مع التقسيم التقليدي الخطي: قديم، وسيط، حديث ومعاصر) وثانيها متوسط أو مفصلي (يشمل دورات منتظمة لا يقل عمر أداها عن خمسين سنة وتتقدم في شكل ناقوس، نصفه الأول تصاعدي ونصفه الثاني تنازلي)، وثالثها قصير أو حدثي يتطور خطياً ومعالمه عبارة عن أحداث بارزة.¹

و كما هو معروف، يقسم علماء الأنثروبولوجيا المراحل الأولى من وجود الجنس البشري على كوكب الأرض إلى عصور متعددة كالعصر الحجري والعصر البرونزي والعصر الحديدي الخ...، وهي تقسيمات مفيدة لمتابعة النمو الثقافي وتقدم إنتاج الأدوات المادية التي استخدمها الإنسان ليحل مشكلاته المرتبطة بالغذاء وصنع الأسلحة الضرورية للبقاء، ولكنها تفقد صلاحيتها لدى تسليط الضوء على جانب جوهري للوجود الإنساني ألا وهو القدرة على الاتصال.

إن متابعة التطور الإنساني في مضمار الاتصال تتطلب تحديد سلسلة أخرى من الحقب استطاع فيها الإنسان الأول في البداية والإنسان العصري، فيما بعد، تحقيق منجزات متتالية في المقدرة على تبادل ونقل وجمع ونشر معلومات.

قد اهتم لذلك بعض علماء الاتصال بالتأريخ لتطور البشرية انطلاقاً من تطور وسائل الاتصال عبر الأزمان المختلفة. ولكن تحديد حقبات لتطور آليات الاتصال لدى الإنسان لا يعني على الإطلاق عدم أهمية الجوانب الأخرى للتطور، وإنما يعني أن تقدم الحضارة التي نهض بها الإنسان العاقل (L'home sapiens) في الأربعين ألف سنة الأخيرة ترتبط بالقدرة على استخدام أنظمة اتصال مختلفة أكثر مما ترتبط بأدوات استعملت لإنتاج مصنوعات.

و يرى دفلور (m. l. defleur) وروكييتش (s. j. ball – rokeach) أن في الواقع أن هذه القدرة على

1- فضيل دليو، وسائل الاتصال وتكنولوجياته، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، دون تاريخ، ص 32.

إنتاج ومراقبة أنظمة اتصالية لتخزين وتبادل ونشر المعلومات تعد العامل الأساس للتغير في التاريخ الإنساني وفي حقبات ما قبل التاريخ.¹

إن تاريخ الوجود الإنساني يمكن توضيحه بصورة أفضل من خلال النظرية الانتقالية² التي تفسر التاريخ الإنساني عبر سلسلة من التغيرات في الحقل الاتصالي، أي عبر مراحل مميزة للتطور الاتصالي الإنساني، قائمة على عمليات امتداد وتوسع وتبدل في قدرات الإنسان الاتصالية التي تحقق بصورة غير استمرارية أو غير انسيابية (أي تتم بصورة طفروية أو استحالية) وبصورة تراكمية، حيث أن كل وسيلة اتصالية جديدة تحدث تغييرا في كامل النظام الاتصالي، دون أن تزيج أو تمحو وسائل الاتصال القديمة، وهكذا، فإن كل حقبة اتصالية تكتسب أهمية بالغة سواء بالنسبة للحياة الفردية أم بالنسبة للحياة الجماعية.

و يمكننا أيضا الإشارة إلى نظرية الحتمية التكنولوجية التي أبرز ملامحها هارولد إينيس (Harold Innis) (*) المؤسس لنظريات وتصورات تقوم على أن تكنولوجيا الاتصال تعتبر قطب الرحى بالنسبة لأي تكنولوجيا أخرى. وقد أشار جيمس كاري الأستاذ بجامعة إلينوي إلى ذلك بقوله " يذهب إينيس إلى أن مراحل متنوعة من الحضارة الغربية يمكن تمييزها بانتشار وسيلة معينة من وسائل الإعلام".³

و طور مارشال ماكلوهان (Marchall Mac luhan) (*) أفكار إينيس كأشهر باحث كتب في أهمية وسائل الاتصال، فقد ركز اهتمامه في دراساته على النظام الاتصالي المتبنى من طرف كل مجتمع، لأنه يرى بأن الخصائص الأساسية للوسيلة المسيطرة في هذا النظام تدل على كيفية التفكير وتنظيم المعلومات على مستوى المجتمع برمته، وهو يرى بأن التكنولوجيا المستعملة في وسيلة الاتصال المسيطرة لها دور كبير في تطور المجتمعات. لذلك فهو يقسم إعلاميا تطور المجتمعات إلى ثلاثة أطوار:⁴

- في **الطور الأول** كان الاتصال " شفويا " يتم مباشرة من الفم إلى الأذن، مما دعم العلاقات الاجتماعية وتماسك المجتمع في وحدات قبلية مندمجة.

- في **الطور الثاني** (من سنة 1500 إلى 1900 تقريبا) كان الاتصال " سطريا " انتقل فيه الإنسان إلى طور الطباعة بعد اختراع مطبعة غوتنبرغ.

- أما في **الطور الثالث** (منذ بداية القرن العشرين)، المدعو بعصر " الدوائر الإلكترونية "، فقد تمت العودة إلى الاتصال الشفهي وتمثل ذلك بشكل خاص في كل من السينما والتلفزيون والحضارة الآلية بعقولها الإلكترونية وأقمارها الصناعية.

و يمكن رصد كل مرحلة من هذه المراحل عبر تحديد الاستخدام للعلامات والإشارات، للكلمات، للكتابة، للطباعة ومن ثم لوسائل الاتصال الراهنة وهذا وفقا للتسلسل الزمني الخطي الحدثي (Événementiel) لأنه تقسيم شائع في التعليم وبين عامة الناس وهو يتمحور حول أحداث تاريخية كبيرة وقعت في تواريخ

1- فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر – دار الفكر المعاصر، دمشق – بيروت، 2002، ص 16.

2- المرجع نفسه، ص 16،

(*) اقتصادي كندي وأصبح من علماء الإعلام.

3- وليام ل. ريفرز وآخرون، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975، ص 47.

(*) باحث أمريكي كندي الأصل ولد عام 1911 وتوفي عام 1979.

4- فضيل دليو، مرجع سابق، ص 37- 38.

محددة.¹

وسنتعرض تباعا لمراحل تطور وسائل الاتصال بدأ بالمرحلة البدائية الفطرية ومرورا بمرحلة اكتشاف الوسيلة الموصلة للرسالة ومن ثم الوصول إلى المرحلة الأخيرة المتمثلة في تطوير الاكتشافات وحسن استخدامها.

وهناك التقسيم الحديث الذي يقسم تطور وسائل الاتصال إلى خمسة ثورات **بدايتها** استخدام الإشارات والرموز الصوتية في عملية التفاهم الإنساني قد يتبع ذلك ظهور اللغة. أما **ثورة الاتصال الثانية** فقد حدثت عندما اخترع السوماريون أقدم طريقة للكتابة وهي الطريقة السومارية واستطاعوا الكتابة على الطين اللين منذ حوالي 3600 سنة قبل الميلاد. أما **ثورة الاتصال الثالثة** قد اقترنت بظهور الطباعة في منتصف قرن 15 فكان (يوحنا غوتمبرغ) أول من فكر في اختراع الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة.²

وخلال القرن 19 بدأت معالم **ثورة الاتصال الرابعة** وظهرت الحاجة لاكتشاف أساليب سريعة لتبادل المعلومات. ولعل أبرز مظاهر **ثورة الاتصال الخامسة** التكنولوجيا، ذلك الاندماج الذي حدث بين ظاهرتي الانفجار المعلوماتي و**ثورة الاتصال** حيث أن المظهر المتجلي يتمثل في استخدام الحاسب الالكتروني وذلك من خلال تخزين واسترجاع ما أنتجه الفكر البشري في أقل حيز وبأسرع وقت. فقد تجسدت باستخدام الأقمار الصناعية ونقل الأخبار والبيانات والصور عبر الدول والقارات بطريقة فورية.

1- المرحلة البدائية:

على الرغم من عدم توفر المعرفة الكافية والدقيقة بأصول الكلام عند الإنسان غير أنه واعتمادا على التخمين – في الغالب – إلا أن أسلافنا من الإنسان الأول كانوا حيوانات اتصالية تعيش في مجموعات صغيرة متناثرة منذ ملايين السنين. ويمكن أن نفترض أن الاتصال لعب دورا أساسيا في تحديد الأدوار التي كان ينتظر من الناس أدائها في ذلك النمط من التنظيم الاجتماعي.

ولعب الاتصال أيضا دورا رئيسيا في نقل الخبرات المتراكمة لدى جيل من الناس إلى جيل آخر. ولو لم يكن هناك شكل اتصالي أوجده الإنسان الأول لظل في حلقة مفرغة لا تؤدي إلى أخرى طالما أنه لم يكن قادرا على نقل خبراته للآخرين. والدور الأساسي للاتصال في المجتمعات البدائية كان الحفاظ على البناء الاجتماعي وتنشئة الأجيال التالية وتنشئة اجتماعية، والواقع أننا بعد هذه الملايين من السنين ما نزال نعتمد على الاتصال في أداء هذين الهدفين رغم الاختلاف الكبير في طبيعة ومدى كل هدف قديما وحديثا.³

ومن المحتمل أن تكون المرحلة الأولى هي حقبة العلامات والإشارات والرموز التي بدأت بنماذج قتل إنسانية، حيث كانت الأجوبة المرتبطة بالغريزة والعوامل الوراثية تلعب الدور الحاسم، وكانت عملية الاتصال متوقفة على الاتصال المباشر أو الشخصي حيث كان الاتصال يعتمد على المقدرة على التذكر وحاول خلالها الإنسان أن يطور الوسائل المواتية لنقل المعلومة من شخص إلى آخر حتى ولو ظهرت في شكلها البدائي.

1- المرجع نفسه، ص32.

²<http://www.2dab.org/vb/archive/index.php?t-2756.html>

³- حمدي حسن، مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 18.

و لم تكن الأجناس الإنسانية الأولى تعرف بعد صناعة الأدوات، وكانت تتواصل فيما بينها كما بعض الأجناس الحيوانية الراقية اليوم، أي عن طريق إشارات وحركات مفهومة للجميع. وفي مرحلة ما بعد التعلم يصبح أكثر أهمية لكي يستطيع هذا الإنسان الفهم والمشاركة في نظام الإشارات والرموز التي صنعتها المجموعة.¹

واستخدمت المجموعات البشرية الإشارات كإشعال النار على قمم الهضاب وكصوت الدف للإشعار بالخطر أو الفرح، والرقصات والحركات الجسمية لأغراض تمثيلية ورمزية، إضافة إلى استخدام النقوشات والرسومات التعبيرية في الكهوف والمغارات والأواني، وتجسدت الأشكال للحياة الإنسانية أيضا عبر عدد من الأصوات التي كان يمكن إنتاجها فيزيائيا كالصراخ والهمهمة.

إن هذه الأنظمة الاتصالية المعتمدة على التقطيع المنفصل، كانت تخلق مشكلات من أهمها تلك المتعلقة بالذاكرة القريبة، كما كانت تقلص، إلى حد بعيد، الاتصال الداخلي أي التفكير والتجريد والتصنيف والاستنتاج والاستقراء والوصول إلى النتائج عبر المقدمات. ولذلك، فإن تطور ثقافة معقدة نسبيا لم يكن ممكنا في حقبة ترتكز على هذه الأدوات الاتصالية.²

و رغم أن كل الوسائل الاتصالية خلال هذه المرحلة تعد اكتشافات للإنسان إلا أنها بدائية ولم تفتح له آفاق أكثر اتساعا للاتصال، فهي وسائل شديدة الارتباط بحاسة البصر والسمع وبقدراتها المحلية الفطرية. فالنار - مثلا- ترى إذا لم يكن هناك حاجز يمنعها من الظهور، وصوت الطبول يسمع إذا لم يصدر من مكان بعيد، لهذا فإنها لم تغير كثيرا من نوعية الاتصال الذي كان مستخدما والذي بقي شخصيا، ولكن " ينبغي التمييز بين الأشكال الفنية البدائية لدى الإنسان الأول في عصر ما قبل وسائل الاتصال وبين الرموز التي أصبحت فيما بعد حروفا ثم كلمات ثم جملا وأفكارا ".³

2- مرحلة الاستكشاف:

أ) ظهور اللغة:

لقد كانت اللغة إحدى الفقرات الهامة في التاريخ الاتصالي للإنسان، إلا أن اللغة ذاتها ارتبط تطورها بتعدد الاحتياجات البشرية. ويرى علماء الأنثروبولوجيا بأن اللغة البشرية ربما تكون قد بدأت كنظام للتنادي بشأن كل المخلوقات. حيث توجد لديها وسيلة لنقل الرسائل بينها. فالطابع الغريزي أو العدائي هو عامل مهم في أنظمة التنادي عند الحيوانات التي تطلق أصواتا معينة في مواقف محددة لا تتغير ولا تتبدل.

أما في اللغة البشرية فعدد الرسائل التي يمكن نقلها غير محدودة، وأيضا أصوات اللغة ليس لها محدد ثابت، ولكن المعنى يظهر من الطريقة التي يمتد بها ربط الأصوات في كلمات وترتيبها في شكل جمل طبقا لنظام محكم من القواعد.

إن هذا التمييز بين اللغة البشرية ونظم التنادي الصوتي عند الحيوانات يعكس حاجة كلا النوعين ومدى تعقدها، فإذا كانت هذه الحاجة قد تميزت بالثبات عند الحيوان، فقد ظل نظامها الصوتي ثابتا لا يتغير، أما الإنسان فقد اتسمت حاجته بالتغير والتعقيد كما ارتاد مجالا جديدا مما استجوب تغيرا ملائما في أدواته الاتصالية.⁴

¹- فريال مهنأ، مرجع سابق، ص 16.

²- المرجع نفسه، ص 17.

³- حمدي حسن، مرجع سابق، ص 18.

⁴- المرجع نفسه، ص 18-19.

فاللغات إذن تطورت وتتنوعت في شكل رموز معقدة استغرقت ملايين السنين لتشكل نظاما اتصاليا محددا قابل للتعليم والتعلم، من الحركات والأصوات والإشارات الأخرى الضرورية للانخراط في تبادلات اتصالية لا غنى عنها في الحياة الاجتماعية محليا وإقليميا ودوليا.

و ارتبط الاتصال بتطور اللغة باعتبارها خاصية بشرية تميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى رغم أن مصطلح " لغة " يستخدم استعارة " في حال التعبير عن ما يسمى بلغة الزهور أو لغة النحل.... الخ، ولإبراز التباين بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى وصفه المفكرون بأنه " حيوان مفكر " " Un animal pensant " وأكثر من ذلك فهو " حيوان عاقل " " Un animal raisonnable " لأنه يشبه كثيرا بعض الحيوانات التي تمارس نوعا من التفكير، إذن فحتى مفهوم " عاقل " ينقصه كثير من الوضوح، لذلك فالإنسان يمكن أن يوصف بأنه " حيوان متكلم " أو " حيوان مبلغ " (Un animal parlent) لأنه الوحيد الذي لديه ملكات الكلام (Langage).¹

تم تحقيق قفزة نوعية ومفاجئة عندما دخل الإنسان في مرحلة الكلمة واللغة، وتوجد أدلة مقنعة بأن هذه المرحلة بدأت مع ظهور إنسان الكروماغنون (cro magnon) الذي يعد جد أجدادنا الذين شرعوا في الكلام في حقبة تمتد ما بين تسعين إلى أربعين ألف عام، ويمكن القول إنه منذ حوالي خمسة وثلاثين ألف عام كانت اللغة مستخدمة تماما، هذا يعني أن حضارة تلك الحقبة كانت تستند إلى مجتمع قائم على الاتصال الكلامي، خاصة وأن إنسان الكروماغنون استمر وتطور وأخذ يزدهر قرنا بعد قرن، لعل الفرضية الأكثر منطقية أن هذا الأخير عندما استطاع تطوير لغة كلامية اكتسب تفوقا حاسما على جيرانه، حيث تمكن من أن يخترع وينقل إلى الأجيال اللاحقة تقنيات لفظ الأطعمة ووسائل للحماية من برد الشتاء، وبشكل عام، للحماية من كل العوائق التي كانت تحول دون بقائه داخل بيئة عدائية، في الوقت الذي بقي فيه إنسان النيانديرثال (Neandertal) سجين حقبة اتصالية قائمة على الإشارات والحركات.²

فكانت اللغة إذن تعبيراً عن تعقد الحاجة الاتصالية لدى الإنسان، إلا أننا عند ذلك الحد لا يمكننا الوقوف على مفهوم محدد لوسيلة الاتصال قبل ظهور الكتابة، فالواقع أن الإنسان البدائي استخدم الرسوم وغيرها لأغراض رمزية وتصويرية، فلم تكن حاجته الاتصالية قد تخلت بعد عن بدائيتها، وكان الحديث كافيا لإشباع هذه الحاجة، وينبغي التمييز بين الأشكال الفنية البدائية لدى الإنسان الأول في عصر ما قبل وسائل الاتصال وبين الرموز التي أصبحت فيما بعد حروفا ثم كلمات ثم جملا وأفكارا.

ب) ظهور الكتابة:

و قبل أن يتوصل الإنسان إلى الكتابة كانت العمليات الاتصالية محددة بالمواقف المواجهة حيث كان بمقدور الفرد أن يخاطب جمعا من الناس، ذلك يحدث فقط إذا ما قدر لهذا الجمع أن يجتمع في مكان واحد، هذه الفردية الاتصالية لم تمكن الإنسان من نشر أفكاره بشكل فعال عبر المكان، ولم تمكنه أيضا من الحفاظ

¹-Christian. BAYLEN et Xavier. MIGNOT , **la communication** ; collection Fac linguistique , 2^{ème} édition , Edition NATHAN , France , 1999 , p 25.

²-DEFLEURet BALL.ROKEACH , **Theories of mass communication**

في فريال مهنا، مرجع سابق، ص 17

على أفكاره بدقة عبر الزمان، ومن هنا بدأت محاولات الإنسان تجاه الكتابة.¹ في فترات متباعدة من التاريخ قبل الميلاد تم التوصل إلى وسائل فعالة لترجمة الحديث إلى الشكل المادي بدءا من حفظ شفرات في ذاكرة الإنسان ومرورا بالكتابة التصويرية والكتابة الرمزية إلى النصوص الصوتية والتي هي نظير تصويري للكلام، وأخيرا الكتابة الهجائية التي يمكن من تحديد تاريخها بالألف الأول قبل الميلاد في منطقة الشرق الأدنى القديم، ولعل ظهور الأشكال البدائية من الكتابة قد تم بعد تطور اللغة ذاتها.² ومن هنا بدأت محاولات الإنسان تجاه الكتابة لتذليل تعقد حاجة الإنسان الاتصالية، فتطورت الكتابة بصفة مستقلة ومتباينة زمكانيا في جهات عدة من العالم، وقد ظهرت الأداة الجديدة لدى السومريين وقبائل المايا في أمريكا الوسطى والمصريين القدامى من أهم المناطق التي مارس فيها الإنسان الزراعة لأول مرة في تاريخ البشرية.

يتجلى تاريخ الكتابة في الانتقال من التمثيل الرسومي إلى الأنظمة الصوتية، أي إلى تمثيل الأفكار المعقدة برموز ورسوم تمت أسلبتها لاستخدام حروف بسيطة تمثل أصواتا معينة. وهي طريقة كتابة تسمح بتسجيل معلومات والعودة إليها لاحقا، وقد تطلب الأمر آلاف السنين للوصول إلى هذه الصيغة الاتصالية التي تكمن قيمتها وفعاليتها في تثبيت رموز اصطلاحية وتكوينها لكي تصبح قابلة للفهم من قبل طرفي العملية الاتصالية.³

شكلت بدورها -أيضا- الصور الرسومية لتسجيل الأحداث، تقدما ذا معزى نسبة إلى الذاكرة الخالية من مرجعية خاصة، وكان جوهر الموضوع يكمن في اختراع قواعد معينة وجعلها اصطلاحية... وبتطوير نظام محكم من الرموز الهيروغليفية على الحجر التي تحولت فيما بعد إلى رسوم وأشكال تصويرية، أصبح المصريون القدماء مجددين للنظام الرسومي الاصطلاحي.⁴

أما السومريون فقد طوروا نظاما آخر للكتابة إذ استخدموا صورا صغيرة منحوتة على لوحات من الفخار لكي يخلقوا تمثالا للأفكار وأخذوا يتقنون تدريجيا هذه الرسوم الصغيرة، ثم استخدموا أدوات دقيقة لرسمها إلى أن أصبحت أشكالا خطية (الخط المسماري) تحمل المعنى دون الرجوع إلى الأشياء المرسومة.⁵

حوالي عام 1700 قبل الميلاد أوجد السومريون فكرة ربط الرمز الاصطلاحي بصوت معين بدلا من ربطه بمفهوم معين، مما أعطى الكتابة نوعية كبيرة إذ بدلا من استخدام آلاف الرموز لتمثيل آلاف الأفكار، أصبح من الممكن استخدام عدد قليل جدا منها لتمثيل أصوات لفظية كانت تتركب الكلمات. وخلال أقل من ألف، تم الوصول في أوغاريت إلى الكتابة الأبجدية، وقد انتشرت، خلال فترة قصيرة، في جميع أنحاء العالم القديم، وبعد عدة قرون وصلت إلى اليونان. وهكذا فقد تم تثبيت فكرة استخدام الحروف للدلالة على ألفاظ متناغمة وصوتية بدلا من تمثيل المقاطع اللفظية.⁶

فالاتصال عبر الرسوم لم يمكن الإنسان من نشر أفكاره بشكل فعال فهو لا يستطيع أن يتصل إلا إلى الحد الذي يمكنه بوسائله البدائية. بدءا من حفظ شفرات بدائية (Code primitive) في ذاكرة الإنسان ومرورا

1 - حمدي حسن، مرجع سابق، ص 19.

2 - المرجع نفسه، ص 19-20.

3 - فريال مهنأ، مرجع سابق، ص 18.

4 - المرجع نفسه، ص (18-19).

5 - المرجع نفسه، ص 19.

6 - المرجع نفسه، ص 19.

بالكتابة التصويرية (Picture – writing) والكتابة الرمزية (Idéographie) والتي هي نظير تصويري للكلام، وأخيرا الكتابة الهجائية التي يمكن تحديد تاريخها بالألف الأول قبل الميلاد في منطقة الشرق الأدنى القديم.¹

و لذلك سمي عصر ظهور الكتابة بالحضارة الكتابية، وهي المرحلة التي صاحبت محاولات الإنسان تسجيل الرموز اللغوية بناء على المعاني التي تجسدها والتي تم الاتفاق عليها بين أفراد المجتمع الواحد أو المجتمعات المتجاورة، واستخدم الأفراد مواد مختلفة كوسائل أساسية للاتصال كالخشب والنحاس والعاج والعظام والجلود وأوراق النباتات، وهذا لأجل إشباع حاجة الحصول على مادة للكتابة تكون سهلة الخزن والحمل الاستعمال

و قد استطاع الإنسان تجاوز صعوبة أخرى تتعلق بعملية انتقال المعلومات، إذ تم استبدال الحجر بمواد أخرى يسهل نقلها وتداولها، ففي عام 2500 قبل الميلاد اكتشف المصريون طريقة لصنع ورق متين من أوراق البردي.²

و مع تطور الحضارات وبخاصة حضارة المايا في أمريكا الوسطى اكتشف سكانها قطعاً مستطيلة من اللحاء الملون يمكن انتزاعها من أشجار الفيكس (Ficus) فيمكن لهم طيها وتستخدم للكتابة عليها... وهذا التطور من الكتابة إلى وسائلها وأدواتها الملائمة كل ذلك فتح الطريق أمام تغيرات اجتماعية وثقافية جديدة وتخلص العقل البشري إثرها من ضرورة إعادة كل شيء وتلاوته ليبقى حياً في الذاكرة.³

ثم تمكن الصينيون من اختراع الورق من لحاء شجر التوت حوالي سنة 105 م على يد (Ts'allub).⁴ وبالرغم من احتكار هؤلاء لسر اكتشافهم استطاع المسلمون الحصول عليه بعد ما امتدت فتوحاتهم لتتجاوز الصين شرقاً حوالي منتصف القرن الثامن ميلادي، ثم طوروها فأنتجوا ورقاً من ألياف الكتان، ثم أول مصنع لإنتاج الورق في التاريخ في مدينة سمرقند تلتها مصانع أخرى في دمشق ومصر والمغرب. وتم تعميمه في القرن الخامسة عشر.⁵

فقد ساهمت الكتابة كأداة من أدوات الاتصال بين الأفراد كثيراً في نقل الأخبار بين الناس في المجتمع الواحد، أو في مجموعة من المجتمعات، وبرز دورها بجلاء بعد ذلك في نشأة الصحافة التي أصبحت اليوم تنسب إليها وهي الصحافة المكتوبة.

ج) عصر الطباعة:

عرفت الصين حوالي عام 800 بعد الميلاد، ضروباً من تقنيات الطباعة المعقدة وبدأت عندها الطباعة باستخدام القوالب الخشبية التي تحفر عليها صور الكلمات وأشكالها، وقد اختلفت المصادر حول من يكون المخترع الأول لهذه الحروف المتفرقة. وإذا كان الصينيون هم الذين اخترعوا الحروف المتفرقة من الطين الخزفي فإن الكوريين قد توصلوا من ناحيتهم إلى اختراع الحروف المتفرقة من البرونز، وقد مهدت هذه

1 - حمدي حسن، مرجع سابق، ص 16.

2 - فريال مهنا، مرجع سابق، ص 20.

3 - حمدي حسن، مرجع سابق، ص (19-20).

4 - إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي، الأردن، 1993، ص 82.

5 - Gabriel. THOVERON , Histoire des médias , Collection MÉMO , édition du seuil , paris 1997 , , p 6.

الاختراعات الطريق أمام غوتنبرغ ليستفيد مما توصل إليه الصينيون والكوريون.¹ و قد قام جوهان جنز فليش (Johannes Gensfleisch) المدعو غوتنبرغ (Gutenberg) بإقامة أول ورشة المطبعة في ماينس (Mayence) حوالي عام 1450 بألمانيا واستخدم الحروف المتفرقة المعدنية من النحاس والرصاص.²

لعل قيام غوتنبرغ باختراع الأحرف المتفرقة المعدنية هو الذي جعل مؤرخي المطبعة يجمعون على القول بأنه هو مخترع المطبعة التي هي أساس الطباعة الحديثة. وطبع أول كتاب بهذه الحروف وهو التوراة ذات الإثنين والأربعين سطرا الذي بدأ به غوتنبرغ عام 1450. ويشير البعض إلى أن أول كتاب طبع بحروف منفصلة هو الإنجيل الذي طبع باللغة اللاتينية من عام 1452.³

ولقد خشي غوتنبرغ في البداية، ألا تنجح تقنيته الجديدة في اجتذاب الناس الذين تعودوا على قراءة نسخ من كتب مخطوطة بعناية فائقة، ولكن تكاليف عمله بالنجاح ولأول مرة أصبحت الأناجيل متوفرة أيضا بلغات غير اللاتينية، مما أفقد الكنيسة الرسمية احتكارها للكتاب المقدس، وخلق حالة من التحدي للسلطات اللاهوتية ولتأويلات وتفسيرات روما في مجال الفقه الديني، وهكذا فإن وجود وسيلة اتصالية جديدة فتح الطريق أمام حركات معارضة تتأوى البنيات الاجتماعية والدينية التي كانت قائمة آنذاك.

و بعد نجاح فكرة الطباعة الحديثة في ألمانيا أتيحت فرصة انتقالها إلى دول أوروبا في الفترة من عام 1456 إلى 1487 حيث كانت إيطاليا أولى الدول التي تلت ألمانيا في هذا المجال، ثم تلتها باقي الدول خلال هذه المدة. وبدأ أثرها النظام الإقطاعي يتداعى وهبت الشعوب تطالب بالوحدة وأخذت العقول تبحث عن نور المعرفة أخذ الفرد يشعر بوجوده وبحاجته إلى أشياء جديدة تغذي عقله وفكره... فكانت المطبعة وسيلة لنشر الآداب والعلوم وتوجيه الرأي العام أولا وتبادل الآراء ثانيا، ومن هنا نجد أن المطبعة وتقدمها المطرد نحو التحسن هي أساس فكرة الصحافة الحديثة.⁴

و هكذا كان مولد المطبعة في أوروبا منسجما مع عصور النهضة التي أزاحت كابوس العصور الوسطى بما فيها من تعصب ديني وتضييق أفق الفكر وحرية التعبير، ودفعت التفكير الفردي إلى الميل إلى المعرفة أكثر والرغبة في التجربة دون خوف. ومع انتشار الطباعة بدأت وسائل اتصال جديدة أخرى في الظهور على التوالي، إذ بدأت المنشورات تظهر في موضوعات رئيسية كالدين والسياسة أو قضايا شعبية محددة.

(د) ظهور الصحافة المكتوبة:

و قد صاحب انتشار الطباعة وتطورها كثرة نشر الصحف على اختلافها، ويمكن القول أن هذه الرسائل أو الأوراق الخبرية المنسوخة وكذلك الدوريات أو كتب الأخبار المطبوعة هي التي مهدت للصحافة الحديثة من خلال قيامها بنشر الأخبار وتقديمها إلى فئات محددة من القراء، ولكنها كانت تقتصر إلى الصدور المنتظم في مواعيد ثابتة وهي الخاصة التي تميز الصحف والدوريات بأنواعها المختلفة فقد كانت هذه المطبوعات لا تصدر إلا في مناسبات معينة وقد تخنفي بعد انتهاء المناسبة أو تعود للظهور بعد ذلك في فترات متباعدة أو متقاربة تتراوح بين الأسبوع أو الأسبوعين أو أكثر.

1 - تيسير أبو عرجة، دراسات في الصحافة والإعلام، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص 18-19.

2 -- Gabriel.THOVERON , op.cit , p 8.

3 - تيسير أبو عرجة، مرجع سابق، ص 20.

4 - المرجع نفسه، ص 20.

و يمكن أن نذكر بعض الأشكال الأولى للصحافة في نهاية القرن الخامس عشر مثل: (Occasionnels) المسماة (Zeitungen) بألمانيا والتي تدعى (Gazzetas) في إيطاليا هي أوراق للمناسبات تعرض قضايا المحكمة وأحداث استثنائية وأحداث حربية. ثم ظهرت أوراق الهجاء (Les libelle) ذات التوجه الدعائي مشكلة صحافة للصراع، وكذلك ما كان يدعى بـ (Les canards) التي استمرت في الصدور حتى نهاية القرن التاسع عشر. دون أن ننسى ذكر ما يسمى بالحواليات (Les almanachs) كأول صحافة لها خاصيتين إعلاميتين هما الانتظام في الصدور وتنوع المحتوى.¹

لم يمض وقت طويل على بدء التفكير بصناعة صحيفة يومية في القارة الأوروبية وفي العالم الجديد، وإذا كانت البدايات قد شهدت صحافة يومية نخبوية، فسرعان ما تم تطوير هذه الوسيلة الإعلامية الجديدة لتصبح خلال فترة زمنية وجيزة ذات طابع جمعي ثم جماهيري.

عاشت ألمانيا في نهاية القرن السادس عشر ميلاد أول يومية عام 1660 سميت بـ (Leipziger Zeitung) ولكنها لم تدم طويلا لهذا كانت اليومية الحقيقية في العالم هي دايلي كورننت (Daily Courrant) الصادرة عام 1702 والتي واصلت صدورها حتى عام 1735.²

وفي نهاية القرن التاسع عشر اتضح لعلماء الاجتماع أن وسائل الإعلام الجماهيري الجديدة صحف، مجلات دوريات وكتب التي غدت أكثر انتشارا وحضورا في المجتمع، قد أخذت تدخل تغيرات مهمة في حياة الإنسان خاصة بعد الثورة الصناعية التي أرست دعائم الرأسمالية، وتكريس المبادئ الديمقراطية والحريات الفردية مما أدى إلى تسارع وتيرة التصنيع والتشغيل وازدياد التحضر وتوسع شبكات المواصلات، وانتشار التعليم وتقلص الأمية، وتحسن مستوى المعيشة بارتفاع الأجور، وهي تحولات كبرى أثرت فيها وتأثرت بها وسائل الاتصال بصفة عامة والصحافة المكتوبة بصفة خاصة، ولكن لم تظهر الصحافة الجماهيرية إلا في منتصف القرن 19، بعد أن أصبحت الجريدة تباع ببينس واحد (One penny press) وهذا كله تأتى بفضل الابتكارات التكنولوجية في الطباعة والاتصالات وتطور الإشهار الذي سمح للجريدة أن تتخلص من التبعية السياسية وأن تصبح مستقلة.

3- مرحلة انتشار التصنيع:

و هي التي تشمل العصر الحديث بالتقريب الذي اتسم بانتشار التصنيع وإدخال تقنيات جديدة ومتطورة على الاكتشافات المختلفة ومن بينها الطباعة. واستفادت الصحافة من هذا التطور بحيث أصبحت تطبع بسهولة وبعدد سحب كبير ساهم في نشرها كوسيلة فعالة للتأثير على الجماهير بفضل تنوعها وتغطيتها لجميع نشاطات الحياة السياسية كانت أو اجتماعية أو ثقافية أو غيرها.

في منتصف القرن التاسع عشر خطت الإنسانية مرحلة أخرى بظهور وسائل الاتصال الكهربائية، كالبرق والهاتف، التي وإن لم تشكل - بحد ذاتها - وسائل اتصال جماهيري، فإنها أضافت عنصرا جديدا لعملية التراكم الثقافي الذي أدى فيما بعد إلى ظهور وانتشار وسائل الإعلام الإلكتروني.³

ففي عام 1924 اكتشف العالم الانجليزي (وليام سترونجر) الموجات الكهرومغناطيسية كما استطاع (سامويل مورس) اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية عام 1837 وفي عام 1876 استطاع (غرهم بال)

¹- Gabriel.THOVERON ; op. cit , p 8-9.

² --Ibid. ,p 13.

³- فريال مهنا، مرجع سابق، ص22

أن يخترع الهاتف لنقل الصوت إلى مسافات بعيدة وكان الألمان والكنديون أول من بدا في توجيه خدمات الراديو عام 1919 ثم الولايات المتحدة الأمريكية عام 1920 كما بدأت تجارب التلفزيون في الولايات المتحدة الأمريكية من أواخر العشرينيات مستفيدة مما سبقها من دراسات وتجارب عملية في مجال الكهرباء والتصوير الفوتوغرافي والاتصالات السلكية واللاسلكية حيث بدأت خدمات التلفزيون التجاري في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1941 واكتسبت بذلك وسائل الاتصال الجماهيرية أهمية كبيرة في القرن 20 وخاصة الوسائل الإلكترونية باعتبارها قنوات أساسية للمعلومات والأخبار.¹

ولوسائل الإعلام الإلكترونية –السينما والراديو والتلفزيون – تاريخها الذي يختلف اختلافا بينا في بعض الوجوه عن تاريخ الوسائل المطبوعة، خاصة وأنها نتاج الثورة الصناعية والتكنولوجية. وقد كانت السينما شعبية منذ بداياتها، ولم تكن في الأصل أكثر من مشاهدة صندوق الدنيا في الأروقة نظير بينس واحد.² وأصبح الفيلم السينمائي شكلا من أشكال الترفيه العائلي بعد أن ظهر في فرنسا وتطور ليصبح صناعة في أمريكا.

وكانت الأفلام الصامتة الأولى تعتمد اعتمادا كبيرا على التمثيل المضحك بدون كلام، كانت تعرض في قاعات السينما نظير مبلغ زهيد.³ وتم تركيب أول فيلم للأخوين أوغوست ولويس لوميير (Auguste et Louis LUMIÈRE) في 28 ديسمبر 1895 بعنوان (L'arroseur arrosé) وعرض على الجمهور الباريسي. واهتم جورج مالباس (Georges MÉLIÈS) بإدخال السينما في حياته المسرحية وقام بإنشاء أول أستوديو ب مونتروي (Montreuil) للتمثيل واستخدام الخدع السينمائية.⁴

وظهر بعدها الراديو كتكنولوجيا تبحث عن التسويق في العشرينات من القرن الماضي، وما لبث أن أصبح يلعب دورا في الإعلام والتربية والترفيه مشكلا قفزة نوعية أخرى في مضمار الاتصال خاصة وأنه شهد ازدهارا بين عامي 1920 و1939 حيث أعلن فراك كونراد (Frank CONRAD) تدشين محطة (KDKA) في بيتسبورغ (Pittsburg) في 2 نوفمبر 1920 والإعلان عن نتائج الانتخابات الرئاسية (Cox-Harding).⁵

و في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات تم انجاز نقلة جديدة باختراع الترانزستور، ثم جاء ظهور التلفزيون وانتشاره بصورة أفقية ليحقق بدوره قفزة نوعية أخرى معطيا للاتصال الجماهيري خصائص لم تعرفها الإنسانية من قبل طبعت العصر بطابعها ومارست تأثيراتها في جميع فروع الحياة الإنسانية. ووصل إلى درجة التشبع في المجتمعات الغربية، وقام بنفس الدور الذي قام به الراديو ولكن تفوق عليه بفضل الجمع بين الصوت والصورة والألوان وقدرته على نقل الأحداث كما تقع وكلها عوامل تؤثر في المشاهد. وقد استفاد مخترعو التلفزيون من تقنيات الراديو والبث الإذاعي – لا محالة – واستمرت الاختراعات والأبحاث التي ساعدت على ظهور التلفزيون منها أعمال العالم الألماني بول نيكوف (P.NIPKOW) الذي اخترع عام 1884 أسطوانة مثقوبة لولبية لتركيب الصور. ثم قام الباحث البريطاني جون بيرد (John , L,

¹<http://www.2dab.org/vb/archive/index.php?t-2756.html> ,op.cit.

²- وليام م.ل. ريفرز وآخرون، مرجع سابق، ص73.

³- المرجع نفسه، ص 72.

⁴ --Gabriel. THOVERON ,op.cit ,P 41.

⁵--Ibid , p 48.

(Baird) بوضع أول تصميم عملي للتلفزيون الميكانيكي وقام بتقديم عرض جماهيري لتلفزيونه (Télévision) بمحل كبير بأكسفورد (OX Ford Streets).

تم بفضل بوريس روزينغ الذي اخترع عام 1907 أنبوب الصورة المستقبل (Le tube cathodique) اعتمادا على أعمال الباحث كارل برون (Karl Braun) ظهر التلفزيون الإلكتروني،¹ إلى أن تم الاستغناء مؤخرا على الأنابيب وأصبحت الصورة رقمية والشاشة مسطحة مع نهاية القرن العشرين.

أما فيما يخص البث التلفزيوني المنتظم فقد بدأ كما هو معروف سنة 1939، حيث تمكنت بريطانيا وألمانيا من تغطية أربع ساعات بث يومية، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية لتضع حدا مؤقتا لتطوره ولتفسح المجال للولايات المتحدة الأمريكية البعيدة عن الحرب، لتواصل التطور الكبير للتلفزيون... ومع ذلك فإن الإرسال الواسع للتلفزيون لم يبدأ إلا في الخمسينات حيث طورت صناعة التلفزيون وارتفع عدد أجهزة الاستقبال، حيث بلغ عدد المستقبلين سنة 1952 خمسة عشر ألفا.² وهو العام الذي ظهرت فيه الشاشة الملونة في السوق الأمريكي بعدما اخترعها الأمريكي " جولد مارك " في مخابر (C. B. S).

و تتالى التطور التقني ليصل إلى بروز وسائل إعلام جديدة كالفيديو والفيديو تكس (Vidéo tex) التبادلي ثم التلفزيون المشفر والكابلي والفضائي... الخ وكان قمة الثورة في الاتصال ظهور الأقمار الصناعية في نهاية الخمسينات والتي لم تكن تعتبر وسيلة عادية كباقي وسائل الاتصال وإنما كانت تعتبر وسيلة لهذه الوسائل ومن أهمها. فالبرامج التلفزيونية والإذاعية والمكالمات الهاتفية وحتى شبكة الانترنت حاليا لا يمكنها أن تعمل دون استخدام الأقمار الصناعية لأنها دعمتها بقرارات بالغة من السرعة والوضوح والأنية ما كانت لتبلغها لولاها، إضافة ظهور التلفزة الكابلية في مطلع السبعينات التي عملت على زيادة وضوح الصورة والصوت وعدد البرامج والقنوات.

وفي أواخر السبعينات ظهرت وسائل جديدة للاتصال تولدت عن الربط بين مختلف الوسائل من تلفزة ومعلوماتية واتصالات قصيرة المدى... كانت سابقا تتطور تطورا منفصلا وفي منافسة شديدة تكاد تكون اقصائية. وقد أدى هذا التوجه الجديد إلى تغيرات جذرية على جميع المستويات: الإنتاج المعالجة والتوزيع، ومنها الربط بين الهاتف والكمبيوتر والتلفزيون والفيديو.

و لكن التقدم الإنساني لم يعرف هدنة، واستمرت عملية تراكم التكنولوجيات حيث دخلنا منذ فترات وجيزة عصر التكنومعلوماتية التي أخذت تحدث تقنياتها تغييرات عميقة في مجال الاتصال الجماهيري أدت خلال فترة زمنية وجيزة إلى تشكل ما يسمى " مجتمع المعلومات " (La société de l'information).

فأتاحت التكنولوجيا الجديدة الخدمات التالية لتلبية حاجات المستهلكين في هذا المجتمع الجديد:³

(1) ظهور الحاسب الشخصي والتوسع في استخداماته حيث يتيح هذا الأخير قائمة ضخمة من الخدمات والمعلومات غير المحدودة التي تقدمها بنوك المعلومات

(2) الامتزاج بين وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية مع تكنولوجيا الحاسب الإلكتروني إلى خلق عصر جديد للنشر الإلكتروني حيث تتم طباعة الكلمات على شاشة التلفزيون

(3) ظهور تكنولوجيا جديدة في مجال الخدمة التلفزيونية مثل: خدمات التلفزيون التفاعلي من خلال تقديم

¹--Ibid , p 51.

²-- Ibid. P 72.

³<http://www.2dab.org/vb/archive/index.php?t-2756.html>, op.cit

خدمات عديدة مثل التعامل مع بنوك السلع , الرعاية الطبية... كذلك حققت خدمات الإذاعة المباشرة عبر الأقمار الصناعية قدر هائل من المعلومات وحدثت تطورات ضخمة في جودة الصورة التلفزيونية من خلال ما يعرف بالتلفزيون عالي الدقة وكذلك تكبير حجم الشاشة مع الحفاظ على جودة الصورة .

(4) ظهور العديد من الخدمات الاتصال الجديدة مثل: فدي وتكس , التلكس , البريد الالكتروني , الأقراص المدمجة التي يمكن أن تخزن محتويات مكتبة عملاقة .

(5) اختراعات جديدة ستغير من شكل التسلية ومن أمثلة ذلك التوسع في إنتاج أجهزة الفيديو الأشرطة بعد ربطها بالحاسب الالكتروني بالإضافة لزيادة التحكم المشاهد في المحتوى الذي يراه.

و بهذا المعنى يتجلى لنا أن كل مرحلة من مراحل تطور وسائل الاتصال موصولة بالمرحلة الأخرى لأن ظهور وسائل الاتصال السمعية البصرية لم يحدث قطيعة مع الوسائل المكتوبة وإنما عكس عملية جديدة كتنويع لوسائل الاتصال قديمة ساهمت في تهيئة البيئة الاتصالية الحالية التي تشهد مرحلة انتقالية بين الاتصال الجماهيري والاتصال التبادلي التفاعلي. وليس كما كان يعتقد ماكلوهان بوجود قطيعة بين المراحل الثلاث لتطور وسائل الاتصال.

و في كل عصر من هذه العصور يلاحظ أن حياة الناس تغيرت جذريا تحت تأثير هذه الوسائل الاتصالية، ولهذا، من الأهمية بما كان أن نعتبر أن تطور المقدررة الاتصالية تتشابه تماما مع تقدم الإنسانية، وأن طبيعة أنظمة الاتصال في مجتمع ما ترتبط ارتباطا عضويا بجميع الأوجه الأخرى للحياة اليومية للأفراد الذين يعيشونها. ففي كل حقبة اتصالية ينشأ توازن جديد أو بمعنى آخر، حالات مستجدة من علاقات التأثير الممكنة ومن التكامل أو التهميش بالنسبة لطرائق أو أساليب التفاعل الاتصالي الاجتماعي، بدءا من الاتصال الشخصي، مروراً بالاتصال المماس و انتهاء بالاتصال الإعلامي ذلك أن بنية الاتصال تؤدي - بصورة حتمية - إلى تأثيرات تتعلق بالمعتقدات وبالقيم الجماعية¹ بالعقليات والسلوكيات، كما بالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع، في مرحلة تاريخية معينة.

و هكذا يمكن أن نلاحظ أن ثورات الاتصال كانت تحدث على امتداد التاريخ الإنساني وكل وسيلة هيأت الظروف لاستحداث تغيرات أخرى معتبرة في تنظيم المجتمع وتراكم الثقافة، ومع انتشار وسائل الاتصال بمختلف أشكالها وإقبال الناس عليها بدأ الباحثون يهتمون بالعلاقة الموجودة بين وسائل الاتصال وجمهورها، وأصبحت اهتمامات الباحثين تتركز عموما على محاور أساسية تتمثل فيما يلي:

1- ما هو تأثير المجتمعات على وسائل الاتصال الجماهيري وما هي الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية التي أدت بها إلى أن تعمل بشكلها الحالي ؟

2- كيف تتم عملية الاتصال ؟ وهل أن الاتصال الجماهيري ظاهرة تختلف عن أنماط الاتصال الأخرى ؟

3- ما هو تأثير وسائل الاتصال في المجتمع ؟

4- ما هي علاقة النظام الاتصالي بالأنظمة السياسية والاجتماعية والثقافية ؟

ثانيا: عناصر العملية الاتصالية والمفاهيم المرتبطة بها:

1- تحديد مفهوم الاتصال:

يعتبر الاتصال العنصر الأساسي في الحياة البشرية الذي يجعلها ممكنة، وهو وعاء الثقافة وناقلها وهو أيضا أسلوب التعبير عنها. كما أن له دور في تدبير شؤون المعرفة وتنظيم حياة الجماعة للمجتمع وبخاصة

¹-- Francis. BALLE , Médias et société , 3^{ème} édition ; Montchrestien , paris , 1984 ; p 81.

جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها.

ويعد الاتصال من أقدم أوجه نشاط الإنسان وهو من الظواهر المألوفة لدينا أكثر من أي شيء آخر، وهذه الكلمة السحرية " الاتصال " تعني أشياء كثيرة عند كثير من الناس، ولكن عدم وجود تعريف مقبول بشكل عام للاصطلاح " الاتصال " حتى الآن يعتبر أمرا يبعث على الدهشة، فمعنى اصطلاح " الاتصال " واضح وغامض في نفس الوقت، فالمعنى يصبح واضحا حينما نستخدمه بشكل تقليدي ضيق ولكنه يتسم بالغموض حينما نسعى لتحديد المجالات الواسع التي يستخدم فيها، ولكي نوضح ذلك نقول أنه تحدث فرد مع آخر وأدى ذلك الحديث إلى تفاهم متبادل فقد حدث اتصال " أي تحقيق الهدف " ¹.

و عليه فالبرغم من تداول كلمة " اتصال " الواسع فهي تحمل معان مختلفة ومتعددة بتنوع أصناف تعريفاتها من قبل الخبراء والباحثين. وهو تعدد يشير إلى ثراء المعنى وتأكيد الأهمية التي حظي بها الاتصال من قبل المتخصصين في مجالات دراسية متباينة: (علم النفس، علم الاجتماع، علوم السياسية، الأنثروبولوجيا، الأدب ...).

ولكن هذا التنوع لم يحل دون جعل كل هذه الطرق والمجالات والمعاني تركز أصلا على عنصر أساسي هو " نقل المعلومات ". فالإتصال ببساطة هو عملية قائمة بين مرسل ومستقبل متمثلة في نقل الرسالة بين هذين الطرفين، " وبدون شك فإن لفظ " اتصال " يدل على فكرة وحتمية الحركة المتوازنة للمعلومات في الاتجاهات المختلفة، العمودية والأفقية التي تفرض التبادل بين الأطراف (Réciprocité) ". ²

و هناك تعاريف عديدة للاتصال تختلف طبقا لهدف من يقوم بالتعريف وتبعاً لجوانب السلوك الاتصالي التي تكون موضعاً لتأكيداته واهتمامه. ومن أكثر التعريفات شمولاً للاتصال هو ذلك الذي يشير إليه باعتباره: " عملية اشتراك ومشاركة في المعنى من خلال التفاعل الرمزي تتميز بالانتشار في الزمان والمكان فضلا عن استمراريتها وقابليتها للتنبؤ " ³.

و أقدم التعريفات تلك التي ركزت على الاشتقاق اللغوي للفظ الاتصال (Communication) المنبثق عن العبارة أو اللفظ اللاتيني (Communis) والذي يعني (تأسيس جماعة أو المشاركة) ومن الواضح - على الأقل - أن اللفظ يدل على المشاركة أو تلاقي العقول وعلى إيجاد مجموعة من الرموز المشتركة في أذهان المشاركين وبالاختصار يدل اللفظ على التفاهم. ⁴

ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة (Commune) التي كانت تعني في القرنين العاشر والحادي عشر "الجماعة المدنية" بعد انتزاع الحق في الإدارة الذاتية للجماعات في كل من فرنسا وإيطاليا قبل أن تكتسب الكلمة المغزى السياسي والأيدولوجي فيما عرف بـ "كومونة باريس" في القرن الثامن عشر؛ ⁵

¹- جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ، ص 49.

²- Roger. PINTO , **la liberté d'information et d'opinion en droit international** , collection , études juridiques comparatives et internationales , Economico , Paris , 1984 , p 23.

³- سامية محمد جابر، الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث: النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 43

⁴- جون ميرل ووالف لونشتاين، الإعلام وسيلة ورسالة، تعريب ساعد خضر العربي الحارثي، دار المريخ، السعودية، 1989، ص 25.

⁵<http://alredwan.jeeran.com/bohuthi3lamia/archive/2006/4/36740.html>

الملاحظ أن هناك شبه اتفاق بين الباحثين وعلماء الاتصال على وجود صفة الذبوع والشيوع والانتشار في عملية الاتصال خاصة الجماهيري منه، ومن التعريفات التي تدور في هذا المجال: يذكر إبراهيم إمام: أن كلمة اتصال (Communication) تمتاز بالتعبير عن الفرضية والتفاعل معا، بمعنى أنها تنطوي على معنى القصد والتدبير وكذلك تعني التفاعل أو المشاركة، ويذكر أحمد بدر: أن كلمة الاتصال مشتقة من لفظها الانجليزي من الأصل اللاتيني (Communis) أو (Common) معناها مشترك، فعندما نقوم بعملية الاتصال فنحن أن نقيم رسالة مشتركة مع شخص أو جماعة أخرى، أي أننا نحاول أن نشارك سويًا في معلومات أو أفكار أو مواقف واحدة.¹

و الاتصال لغويا في القواميس العربية، كلمة مشتقة من مصدر " وصل " الذي يعني أساسا الصلة وبلوغ الغاية – حسب قاموس المحيط ولسان العرب – أما قاموس أكسفورد فيعرف الاتصال بأنه " نقل وتوصيل أو تبادل الأفكار والمعلومات (بالكلام أو الكتابة أو الإشارات)".²

وقد تعددت المفاهيم التي طرحت لتحديد معنى الاتصال بتعدد المدارس العلمية والفكرية للباحثين في هذا المجال، وبتعدد الزوايا والجوانب التي يأخذها هؤلاء الباحثون في الاعتبار عند النظر إلى هذه العملية، فعلى المستوى العلمي البحثي يمكن القول بوجود مدخلين لتعريف الاتصال:

المدخل الأول: ينظر إلى الاتصال على أنه عملية يقوم فيها طرف أول (مرسل) بإرسال رسالة إلى طرف مقابل (مستقبل) بما يؤدي إلى إحداث أثر معين على متلقي الرسالة.

يهدف المدخل الأول إلى تعريف المراحل التي يمر بها الاتصال، ويدرس كل مرحلة على حدة، وهدفها وتأثيرها على عملية الاتصال ككل. حيث عرف بعض الباحثين الاتصال بالنظر إليه كعملية يتم من خلالها نقل معلومات أو أفكار معينة بشكل تفاعل من مرسل إلى مستقبل بشكل هادف، ومن نماذج هذه التعريفات التي تركز على أن "الاتصال هو العملية التي يتم من خلالها نقل رسالة معينة أو مجموعة من الرسائل من مرسل أو مصدر معين إلى مستقبل".³

يقول فلويد بروكر (FLOYED Procker) "الاتصال هو عملية نقل فكرة أو مهارة أو حكمة من شخص لآخر".⁴

و يعرفه كارل هوفلاند (Carle Hovland) بأنه العملية التي يقوم بمقتضاها الفرد (القائم بالاتصال) بإرسال مثير لكي يعدل من سلوك الآخرين (مستقبلي الرسالة).⁵

و ينص هذا التعريف على أن القائم بالاتصال ينقل عمدا وبشكل هادف منبهات لإحداث تأثير معين، ويتجسد ذلك أيضا في تعريف جيهان أحمد رشتي التي ترى أن الاتصال هو " العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة (كائنات حية أو بشرا أو آلات) في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات بين الأفراد عن قضية معينة ".⁶

و يقول الباحث تشارلز موريس أن اصطلاح اتصال حينما نستخدمه بشكل واسع النطاق فإنه يتناول أي

1- محمود حسن إسماعيل، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العالمية، الكويت، 2003، ص 51.

2- فضيل دليو، مرجع سابق، ص 9.

3 <http://alredwan.jeeran.com/bohuthi3lamia/archive/2006/4/36740.html>. op.cit .

4- محمد السيد فهمي، تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص 23.

5- المرجع نفسه، ص 24.

6- المرجع نفسه، ص 24.

ظرف يتوافر فيه مشاركة عدد الأفراد في أمر معين.¹

أما حسين الطوبجي فيعرف الاتصال بأنه العملية أو الطريقة (Process) التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص لآخر حتى تصبح مشاعاً بينهما وتؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر.² ويتم في عملية الاتصال نقل المعرفة بأنواعها والمعلومات المختلفة من شخص لآخر أو من نقطة لأخرى، وتتخذ لها مسارا، يبدأ عادة من المصدر الذي تنبع منه إلى الجهة التي تستقبلها ثم يرتد ثانية إلى المصدر وهكذا، وتتخذ هذه الارتدادات (Feed Back) صورا مختلفة تساعد المصدر على معرفة مدى تحقق الأهداف... ومن هنا يتبين لنا أن عملية الاتصال لا تسير في اتجاه واحد بل هي عملية دائرية (مصدر - مستقبل - مصدر الخ) تحدث داخل مجال أوسع وأشمل يضم كل الظروف والإمكانات التي تحيط بعملية الاتصال وتؤثر فيها، وهي كذلك عملية ديناميكية تتأثر بالتفاعل المستمر بين عناصرها.

و من التعاريف السابقة التي تم عرضها بالإمكان استخراج مجموعة من الحقائق الثابتة للاتصال.³

1- الاتصال عملية والعملية هي مجموعة من الخطوات المتسلسلة المرتبطة مع بعضها البعض بحيث تؤدي في النهاية إلى هدف أو مجموعة من الأهداف.

2- الاتصال عملية تفاعل، والتفاعل يعني تأثير من جانب وتأثر من جانب وتأثر من جانب آخر، أو بمعنى آخر قدرة المرسل على التأثير في تفكير المستقبل واتجاهاته.

3- الاتصال عملية تفاعل بين طرفين، والمقصود بكلمة طرفين لا تعني شخصين بل إن الاتصال قد يحدث بين شخصين وشخص آخر كما في خدمة الفرد أو قد يحدث بين شخص وشخص آخر كما في خدمة الفرد أو قد يكون بين شخصين ومجموعة من الأفراد كما في خدمة الجماعة، أو قد يكون بين شخص وأعضاء مجتمع محلي كما يحدث في تنظيم المجتمع.

4- الرسالة تعني المعلومات أو الخبرات أو الأفكار أو الاتجاهات أو القيم التي يرغب المرسل في مرسلها في توصيلها إلى المستقبل.

5- يقوم المرسل باختيار وسيلة من وسائل الاتصال المناسبة للمستقبل ليستخدمها في وتوصيل الرسالة.

6- تعني كلمة المشاركة بأن الهدف من الاتصال هو أن يصبح المستقبل مشتركا مع المرسل في الفكرة أو الخبرة بالدرجة والمستوى الذي يريده المرسل. ويكون مفهوم المشاركة أدق من مفهوم النقل. لأن في المشاركة لا يفقد المرسل ما يقوم بتعليمه للمستقبل، ولكي يصبح الاثنان مشتركا في معرفة هذه المعلومات أو الأفكار.

المدخل الثاني: فهو تعريف بنائي أو تركيبي للاتصال، حيث يركز على العناصر الرئيسية المكونة للمعنى، والتي تنقسم بدورها إلى ثلاث مجموعات رئيسية:⁴

أ- الموضوع: إشارته ورموزه.

1- جيهان أحمد رشتي، مرجع سابق، ص 50.

2- المرجع نفسه، ص 23-24.

3- المرجع نفسه، ص 25 - 26.

4 <http://alredwan.jeeran.com/bohuthi3lamia/>

ب- قارئو الموضوع والخبرة الثقافية والاجتماعية التي كونتهم، والإشارات والرموز التي يستخدمونها.

ج- الوعي بوجود واقع خارجي يرجع إليه الموضوع الناس.

وفي ضوء المدخل الثاني الذي ينظر إلى الاتصال على أنه عملية تبادل معاني. ويعرف بعض الباحثين الاتصال كعملية تتم من خلال الاتكاء على وسيط لغوي، في ضوء أن كلا من المرسل والمستقبل يشتركان في إطار دلالي واحد، بحيث ينظر إلى الاتصال هنا على أنه عملية تفاعل رمزي.

وما يعنينا في محاضراتنا هذه هو المدخل الأول لذلك تم التركيز عليه لنترك المدخل الثاني لمجالات أخرى في دراسة الاتصال.

2- أنواع الاتصال:

هناك تقسيمات عديدة لأنواع الاتصال التي يمكن الاطلاع عليها في مختلف أبحاث الإعلام والاتصال وذلك لأن علماء الاتصال اعتمدوا في تقسيماتهم على طرق مختلفة فمنهم من استعمل اللغة المستخدمة كأساس للتقسيم ومنهم من اعتمد على مستوى الاتصال، إذ سنعتمد هذا الأخير فنلاحظ أن من الباحثين من توسع في تقسيمه للاتصال. فجعله أنواع ستة ومنهم من أوجز فجعله نوعان. وسوف نعتمد على تقسيم الاتصال إلى ثلاثة أنواع وذلك على ما هو مشهور بين الباحثين وهذا تبعا لطبيعة المشاركين في عملية الاتصال:¹

(أ) الاتصال الذاتي (Self communication):

هو ذلك النوع من الاتصال الذي يحدث داخل الفرد حينما يحدث نفسه، وهو غالبا ما يتضمن أفكاره وتجاربه ومذكراته، وفيه يكون كل من المرسل والمستقبل في شخص واحد، فالفرد قد يتناقش مع نفسه إذا كان يقرأ كتابا أو يشاهد برنامجا تلفزيونيا.

(ب) الاتصال الشخصي (Personale communication): ويسمى أيضا المباشر ويطلق عليه مصطلح التأثير عن طريق كلمة الفم ويطلق عليه أيضا الاتصال بين فردين، وهو العملية التي تحدث يوميا حينما نعطي ونتلقى أوامر أو ندخل في مناقشة.²

و يقصد بالاتصال الشخصي تبادل المعلومات والمهارات والاتجاهات، والأفكار... الخ والتي تتم بين الأفراد بطريق مباشر دون استخدام وسائط بينهم، ولذلك يصبح أحدهم مرسلا والآخر مستقبلا فهو يعتمد على المقابلة المباشرة أو ما يسمى الوجه للوجه. وعدد المشاركين في هذا الاتصال يكون محدودا حتى إنه يطلق عليه اسم الاتصال المحدود ومن أمثلته الاتصال الشفهي بين أفراد العائلة، الأصدقاء،... كذلك في لقاءات أخصائي تنظيم المجتمع مع اللجنة أو الجماعة المحدودة التي يتقابل معها.³

ويطلق عليه سمير محمد حسين اسم الاتصال المواجهي أو المباشر، ويشمل الاتصال الشخصي اتصال فرد بفرد أو بمجموعة محدودة جدا من الأفراد ويضم كذلك الاتصال الجمعي أي اتصال فرد أو عدة أفراد

1- محمد محمد عمر الطنوبي، نظريات الاتصال، مطبعة الإشعاع الفني، الإسكندرية، 2001، 21-22.

2- جيهان أحمد رشتي، مرجع سابق، ص 121.

3- محمد محمد عمر الطنوبي، مرجع سابق، ص 21

بمجموعة كبيرة من الأفراد ويعد أيضا اتصالا مباشرا موجهيا، كما يحدث في الندوات والمؤتمرات وخطبة الجمعة وغيرها من الاتصالات الموجهية.¹

ج: الاتصال الجماهيري Mass communication: وهو بث رسائل واقعية أو خيالية على أعداد كثيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية والثقافية... وينتشرون في مناطق جغرافية متفرقة، ويقصد بالرسائل الواقعية مجموعة من الأخبار والمعلومات والتعليمات التي تدور حول الأحداث فتنتشرها وتذيعها الإذاعة مثلا، أما الرسائل الخيالية فتتمثل في القصص والتمثيلات والروايات والأغاني التي قد تكون واقعية أو خيالية. وفي الاتصال الجماهيري تتعرض الجماهير المختلفة السن أو الحالة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية... إلى نفس المؤثرات الإعلامية مهما تباعدت مناطق إقامتها.²

كما يقصد بالاتصال الجماهيري تلك العملية التي يقوم فيها القائم بالاتصال ببث رسائل مستمرة ومتعددة من خلال الوسائل الآلية الالكترونية إلى عدد كبير ومنتشر من المتلقين في محاولة للتأثير عليهم بطرق متعددة.³

ويعرف الاتصال الجماهيري بأنه العملية التي يتم بمقتضاها نقل المعلومات والأفكار والاتجاهات إلى عدد كبير نسبيا من الأفراد باستخدام وسيلة أو أكثر من وسائل الاتصال الجماهيرية، وهذا النوع من الاتصال يتم بطريقة مباشرة حيث يكون المستقبلين في مكان محدد، وغالبا ما يكون هذا الاتصال في اتجاه واحد وفي حالة وجود استجابة فهي لا تظهر مباشرة أثناء الاتصال ولكن يمكن أن تظهر بعد ذلك بفترة.⁴ ولكن الوسائل التكنولوجية كالفاكس والبريد الالكتروني والهاتف ساهمت في تمكين الأفراد من المشاركة في المضامين الإعلامية المختلفة.

3- مفهوم وسائل الاتصال:

كما يرى تقرير اليونسكو " ... أن وسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها، وعلى حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية وتحقيق التكامل الاجتماعي، وهي تلعب أو يتعين عليها أن تلعب دورا أساسيا في تطبيق السياسات الثقافية، وفي تيسير إضفاء الطابع الديمقراطي على الثقافة، وهي تشكل بالنسبة لملايين الناس الوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق. كذلك فالاتصال دور في تدبير شؤون المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع، وبخاصة جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها، وهو يستطيع - احتمالا على الأقل - إعادة صياغة القلب الثقافي للمجتمع. ومع ذلك ففي هذا المجال كما في سائر المجالات فإن التطور السريع للتكنولوجيا الجديدة ونمو البنية المصنعة التي تسيطر عليها الثقافة وعلى الإعلام يخلق مشكلات وأخطارا".⁵

1- سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال الجماهيري والرأي العام، ط 2، عالم الكتب، القاهرة، 1993، ص 92

2- محمد محمد عمر الطنوبي، مرجع سابق، ص 22.

3- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص 37.

4- محمد السيد فهمي، مرجع سابق، ص 109.

5- شون ماكبرايد وآخرون، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا، اليونسكو / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 82-83.

فوسائل الاتصال تحديداً: هي الوسائل التي تساهم في العملية الاتصالية المعقدة على نطاق أوسع وأشمل، باعتبارها نشاطاً فردياً أو اجتماعياً، ولا تقتصر فقط على تبادل الأنباء والرسائل وإنما تشمل وسائل الاتصال والطباعة والنشر والكتاب والفيلم والصحف والراديو والتلفزيون والأسطوانات والأشرطة الموسيقية والإشهار والعلاقات العامة والملصقات وما شابه ذلك والأقمار الصناعية.¹

4- مفهوم وسائل الإعلام:

نعني بوسائل الإعلام " الوسائل التي تتم بها عملية الاتصال الجماهيري المتميزة بالمقدرة على توصيل الرسائل، وفي نفس اللحظة وبسرعة، إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، ومع قدرتها على نقل الأخبار والمعلومات والترفيه، والآراء والقيم والمقدرة على خلق رأي عام وتنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة لدى الجمهور، وهذه الوسائل هي الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والكتاب والتسجيلات المسموعة والمرئية".²

إن مفهوم وسائل الإعلام أو ما يقابله بالإنجليزية (The mass media) أو بالفرنسية (Les moyens d'information) يقتصر على الجرائد والمجلات والراديو والتلفزيون فقط، حيث أن مفهوم الإعلام في هذا السياق يعني الفعل المتمثل في إحاطة الجمهور معرفة بوقائع معينة أو آراء بواسطة وسائل مبتكرة لهذا الغرض، وتستخدم التكنولوجيا المعقدة لتبليغ رسائل مفهومة تتضمن أفكاراً بغرض الإعلام والتربية والترفيه أو الإقناع إلى جمهور واسع، والإعلام يقترن عادة بطابع ومحتوى سياسي – بالدرجة الأولى – يرتبط بأهداف المنظمة السياسية والاجتماعية القائمة وعلى علاقة وطيدة بالتشكيلة الاجتماعية القائمة.³

5- مفهوم الإعلام:

فالإعلام في اللغة مشتق من الفعل أعلم وأبلغ وبين وأوصل، تفي إشاعة المعلومات وبثها وتعميمها ونشرها وإذاعتها على الناس.⁴ أو تقول العرب: استعمله الخبر فأعلمه إياه يعني صار يعرف الخبر بعد أن طلب معرفته، فلغويًا يكون معنى الإعلام نقل الخبر.⁵

اختلفت الروايات في تحديد مفهوم الإعلام، وأوضح تعريف له هو ما وضعه العالم الألماني " أوتو جروت " حيث قال: الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت".⁶

1- سعيد بومعيزة، " مدخل إلى علوم الاتصال " محاضرات أقيمت على طلبة السنة الأولى، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 1991 – 1992) غير منشورة.

2- صالح أبو إصبع، " الكلمة والمصادقية عربياً بين ثوابت الثقافة ومتغيرات الإعلام "، تقرير عن مؤتمر الكتاب والأدباء العرب، رابطة الكتاب الأردنيين، ديسمبر 1992، ص 7.

3- سعيد بومعيزة، مدخل إلى علوم الاتصال، مرجع سابق.

4- ابن منظور، لسان العرب، ج 2 (من ح إلى د)، المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ص مادة بلغ دار.

5- زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص 13.

6- عاطف عدلي العبد، الاتصال والرأي العام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص 16.

و يعرفه عبد اللطيف حمزة بما يلي: " الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم، ومعنى ذلك أن الغاية الوحيدة من الإعلام هي الإقناع وذلك عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والإحصائيات ونحو ذلك " ¹.

و هو كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف مما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتقبلين للمادة الإعلامية. ²

و من خلال التعاريف السالفة المتعددة حيناً والموحية باتساع المشكلة الإعلامية حيناً آخر يجدر بنا التنويه إلى ما لاحظته محمد سيد محمد هو الالتباس والخلط بين مصطلحي الاتصال والإعلام، ولهذا فهو يرى مصطلح الإعلام يحتاج إلى تحديد في لغتنا العربية، حيث يتسع مصطلح الإعلام أحياناً ليشمل مفهوم الاتصال ويقتصر أحياناً على وسائل الإعلام وحدها، وعبر أحمد بدر عن الاتصال بالإعلام وعن الإعلام بالاتصال، وأشار إلى أنه يستخدم كلا المصطلحين للدلالة على المعنى معترفاً بتفضيله لكلمة اتصال رغم عدم شيوعها مثل كلمة إعلام، ويرى إبراهيم إمام أن كلمة الإعلام تقتصر عن التعبير عن ظاهرة الاتصال الواسع لأنها إدلاء من جانب واحد لا يعبر عن التفاعل والمشاركة، في حين أن كلمة اتصال تعني التفاعل والمشاركة. ³

من كل هذا نفهم أن الإعلام ليس مجرد جمع كم من المعلومات والبيانات والأنباء والمحاولة نشرها عن طريق وسيلة ما معرفة فريق من القائمين بالاتصال لأن مجرد توافر كل تلك العوامل لا يعني بضرورة أن العملية الإعلامية قد تمت بالكفاءة المطلوبة، فمجرد توافر المواد الخام والأدوات اللازمة للإقامة بين ذات أبعاد هندسية وجمالية يعكس راقى الإبداع وبالتالي فالإعلام ليس حشد للمعلومات والمعارف والأنباء والبيانات والحقائق فقط وإنما يستوي مع هذا إن لم يزد عليه أهمية الكيفية أو الطريقة التي يمكن أن تشكل من خلالها تلك المعلومات والمعارف والأنباء السببية الفكرية والمعرفية والتعليمية والأخلاقية والسلوكية اللازمة للتفاعل مع البناء الاجتماعي الثقافي القائم وتحريكه وإكسابه خصائص جديدة بتجرد وموضوعية وذوق إعلام راقى. ⁴

6- الخصائص المميزة للإعلام: ⁵

1 – إن الإعلام كان ولا يزال يتدفق في اتجاه واحد، من القمة إلى القاعدة، أي من المرسل من المتلقي وقليل ما يكون تدفقاً في اتجاهين.

2 – إن الإعلام مجالاً واسعاً ووفيراً للاختيار، سواء من حيث الوسيلة ساحة الأحداث والفاعلين أو من

1- عبد اللطيف حمزة، الإعلام والرعاية، دار الفكر العربي القاهرة، 1984، ص 60.

2- سمير محمد حسين، مرجع سابق، ص 22.

3- عاطف عدلي العبد، مرجع سابق، ص 15.

4- محمد أحمد حماد، الإعلام والدعوة بين التكامل والتضاد، دار السعادة للطباعة، 1994، ص 37.

5- سعيد بومعيزة، "مدخل إلى علوم الاتصال"، مرجع سابق.

حيث الجمهور تنوع وتعدد الرسائل والمضامين.

3 – أصبح الإنسان كوحدة من الجمهور في حاجة إلى أكثر من وسيلة إعلامية لإشباع حاجاته الفكرية: صحافة متخصصة لتعميق معلوماته، راديو لسماعي الموسيقى وتلفزة للتربية... الخ وهذا عكس ما كان عليه الناس فيما مضى.

4 – يركز الإنتاج الإعلامي في أيادي عدد قليل من المنتجين الخواص أو الدولة، الذين يقومون بإنتاج عدد كبير من المنتجات المعيارية.

5 – تعمل وسائل الإعلام (في بلدان رأسمالية) على جلب اكبر عدد ممكن من الجمهور، ولهذا تميل إلى التركيز على نقطة وسطية أو تلتزم خطا سياسيا معين لإقناع جميع الناس كما كان عليه الحال في البلدان الاشتراكية والعالمثلية وربما مازال الحل كذلك.

6 – يتم الإعلام بواسطة مؤسسات اجتماعية تستجيب إلى البيئة التي تعمل فيها أي أنها تحدث تفاعلا بين المجتمع ووسائل الإعلام.

7 – يتضمن الإعلام عكس الدعاية الحياد فيما يخص هدفه النهائي وذلك في حالة استقلالية المؤسسات الإعلامية والموضوعية فيما يتعلق بمحتواه

إن هذه المميزات العامة تتصف بها معظم أنظمة الإعلام في البلدان العالم نظرا لدرجة العالمية التي تطبع وسائل الإعلام من حيث تنظيم والهدف والمحتوى. ويجرنا عندها الحديث عن المفاهيم المشابهة للإعلام من جهة ولكن متميزة عنه من جهة أخرى.

7- المفاهيم المشابهة للإعلام:

أ – الدعاية:

و هي أسلوب من أساليب الاتصال الجماهيري وترمي إلى إحداث تأثيرات معينة في الجماهير الموجهة إليها وتستخدم الدعاية كل الأدوات المتاحة وتتوغل في جميع مناحي الحياة، وتغزو كل مظاهر الفكر والعمل. وتنسج حول الأفراد شبك من الضغط النفسي والاجتماعي بأشكالها المختلفة. والدعاية لا يرمي إلى الإقناع بقدر ما يرمي إلى اغتصاب النفس والسيطرة على السلوك والظفر بتأييد الجماهير بأي ثمن وبأي وسيلة لذلك كانت الدعاية قوية التأثير في الأطفال والشباب والجماعات البدائية والأقاليم النامية التي لم تنل حظا من العلم والثقافة... إن أهم ما يميز الدعاية عن غيرها من أشكال الاتصال بالجماهير هو أسلوب الإيحاء الذي تستخدمه لتحقيق أغراضها. ومن خصائصها إنها قد تكون غير معروفة المصدر في بعض الأحيان وتلجأ إلى التهويل واستخدام الإيحاء وبث الشائعات.¹

و ذهب باحثون لتعريف الدعاية منهم هارولد لاسويل (Harold LASSWELL) الذي عرفها في دائرة المعارف للعلوم الاجتماعية بأن الدعاية تتخذ شكل وسائل قد تكون صورا كلامية أو خطية أو تصويرية أو

¹- محمد الرؤوف كامل، مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1995، ص 106.

موسيقية، ثم عرف الدعاية تعريفا موجزا فقال " إن الدعاية تعني الاحتيال عن طريق الرموز " ¹.

و على الرغم من تباين وتنوع تعاريف الدعاية يمكن أن نقول عنها بأنها " المحاولة والجهود أو النشاط الذي يهدف بواسطة القائم بالاتصال إلى التحكم في وجهات نظر الآخرين وفي مواقفهم وأفعالهم من خلال التأثير على اعتقاداتهم السابقة بواسطة وسائل مصممة بصورة موسعة لجذب واستثارة عواطفهم أو الجوانب اللاعقلانية فيهم " ².

ب- الإشاعة:

تعتبر الإشاعة معلومة غير محققة أو خبر يتناقله الناس غير مؤكد ولا توجد أدلة على صحته، والغالب على الإشاعة إنما تكون مسموعة شفوية. ولكن توجد إشاعات تنبأها الصحف والإذاعة والتلفزيون. ويعتبر بث الإشاعات أسلوبا من أساليب الدعاية.

فالإشاعة إذن تعتمد على نشر معلومات بين عدد كبير من الناس بصفة سرية دون أن يظهر مصدرها، وهي عملية لا تتم في وقت واحد كما هو الشأن في عملية الإعلام ولكنها تنتقل بتدرج زمني من شخص إلى آخر، وسرياتها يمتاز بالسرعة بدون استعمال الوسائل التقنية العصرية. فالإشاعة ظاهرة اجتماعية قديمة قامت بوظيفة الإعلام في فترة طويلة من الحياة البشرية قبل وجود الإعلام بمفهومه العصري. وقد عرفت الحضارة القديمة كما إنها لازالت متواجدة بحضارتنا العصرية.

و عرفها مختار التهامي بأنها ترويج لخبر مخلق لا أساس له من الواقع أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومات كاذبة ومشوهة لخبر معظمه صحيح أو تفسير خبر صحيح وتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع أو الحقيقة وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي والعالمي أو القومي تحقيقا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول ³.

ج- العلاقات العامة:

هي وظيفة إدارية متميزة تساعد على خلق وبناء ودعم وبقاء الاتصال الفعال والفهم المتبادل والتعاون المشترك بين المنشآت و جماهيرها الداخلية والخارجية، وتعمل على مواجهة وحل المشكلات التي تواجه الإدارة وإمدادها بتيار مستمر من المعلومات والبيانات مما يجعلها متجاوبة مع الرأي العام، وتحدد وتؤكد مسؤولية الإدارة تجاه اهتمامات الجماهير، وتساعد على أن تواكب التغيير وتستفيد منه بكفاءة. كما تستخدم العلاقات العامة كنظام تنبؤ يساعد على التنبؤ بالتعرف على الاتجاهات وتوقعها، وتستخدم في سبيل ذلك بحوث وأساليب وطرق ووسائل الاتصال وفنونه على أساس أخلاقية لتحقيق هذه المهمات الأساسية ⁴.

ولقد تعددت تعريفات العلاقة العامة واختلف فيما بينها طبقا لهدف من يقوم بالتعريف، وتباعا لجوانب السلوك الإنساني، ونوع الوسائل والأدوات والطرق التي تستخدم لتحقيق الهدف، في كلمات متناسقة موجزة

1- محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثير الإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص 448.

2- جون ميرل و رالف لونشتاين، مرجع سابق، ص 271.

3- عاطف عدلي العبد، مرجع سابق، ص 120-121.

4- سمير محمد حسين، مرجع سابق، ص 27.

بما لا يخل بالإيجاز في المعنى وفي توضيح ما ينطوي عليه ذلك الموضوع.

وتسعى المؤسسة من خلال العلاقات العامة كأحد الوظائف الإدارية التي من خلالها تسعى إلى كسب ثقة الجمهور، وتضع السياسة المخططة الملائمة التي تساعد في كسب تلك الثقة، وهذا ما ينم عن تواجد رجح الصدق التي تستطيع من خلالها الإدارة أن تقوم بدورها في تعديل سلوكها وسياستها بما يتلاءم مع تلك الآراء في سبيل الحصول على مزيد من الثقة والتفاهم وديمومتها.

د- الإشهار:

هو الجهود الشخصية والمقصودة والمدفوعة للأجر والمعروفة المصدر عن سلعة أو خدمة في وسيلة إعلام جماهيرية.¹

و تعرفه جمعية التسويق الأمريكية بأنه مختلف نواحي النشاط تؤدي إلى نشر أو إذاعة الرسائل الإشهارية المرئية أو المسموعة أو المكتوبة على الجمهور بغرض حثه على شراء سلع أو خدمات أو من أجل استمالته إلى التقبل الطيب لأفكار أو أشخاص أو منشآت معلن عنها.²

و تتعدد أشكال الإشهار وفقا للعديد من الاعتبارات التي ترتبط بشكل المعلن عنه، والوسيلة المعلن عن طريقها وتكاليف الإعلام والوقت والجمهور المستهدف.³ يعتمد على الاستمالات العاطفية والغرائز بالدرجة الأولى لتوجيه الأفراد إلى السلوك المؤيد للفكرة أو الرأي أو المنتج والسلعة باعتبارها هدفا من الاتصال الإعلامي.⁴

8- العناصر الرئيسية لعملية الاتصال:

أوضحنا سالفاً معنى كلمة اتصال والآن نوضح العملية الاتصالية، فالمقصود بعملية الاتصال هي أن الاتصال ظاهرة مستمرة ومتغيرة لا بداية لها ولا نهاية ولا تخضع إلى تسلسل أو تتابع معين، فإذا كنا نقول أن الاتصال مصدراً يرسل رسالة عبر وسيلة إلى مستقبل فليس معنى ذلك أن عملية الاتصال من الناحية الفعلية تمضي وفق هذا الترتيب فالمصدر يصبح مستقبلاً بين لحظة وأخرى وقد يحدث ما يمنع وصول الرسالة، كما أننا لا نستطيع أن نحدد بداية أو نهاية الاتصال، فالاتصال عملية مستمرة ودائمة التغير ولها مستويات.⁵

ولكي تتم العملية الاتصالية لابد أن تتوافر على عناصر ضرورية لتقوم العملية الاتصالية بدورها، وهذه العناصر يمكن إبرازها من خلال إحدى نماذج العملية الاتصالية التي اقترحت لتقيين هذه العملية وعرض مستوياتها وأشكالها المختلفة. ولعل أقرب النماذج إلى الأذهان النموذج الذي صاغه عالم الاتصال الأمريكي هارولد لاسويل (H. LASSWELL) الذي يعتبر من أهم النماذج في الاتصال، حتى أن هذا النموذج يظهر في دراسات بعض الباحثين في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، رغم أنه يعتبر نموذجاً تقليدياً إلى أنه يعد

1- محمد عبد الرؤوف كامل، مرجع سابق، ص 118.

2- عاطف عدلي العبد، مرجع سابق، ص 26.

3- محمد عبد الرؤوف كامل، مرجع سابق، ص 119.

4- محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 51.

5- المرجع نفسه، ص 23.

من أهمها: ويقترح لاسويل لوصف السلوك الاتصالي من خلال صياغة عناصر عملية الاتصال بالإجابة عن خمسة أسئلة هي:

من ؟ (who) (المرسل)

يقول ماذا ؟ (Say What ?) (الرسالة)

لمن ؟ (to Whom ?) (المستقبل)

بأي وسيلة ؟ (in which Channel ?) (الوسيلة)

بأي تأثير ؟ (which what effect ?) (الاستجابة)

حيث أن الإجابة على هذه الأسئلة تمثل عناصر العملية الاتصالية. وعلى الرغم من أنه نموذج مبسط إلا أنه من الممكن تطبيقه في كافة المجالات الإعلامية والدعائية والإعلانية حيث يتيح إمكانيات تنظيم البدائل والمتغيرات التي تواجه القائم بالاتصال عن طريق الإجابة على مجموعة من الأسئلة التي توضح المحددات الأساسية لعملية الاتصال على النحو التالي:

أولاً: المرسل (Sender) أو القائم بالاتصال (Communicator)

و هو المقصود بالسؤال من ؟ والمرسل هو مصدر الرسالة أو النقطة التي تبدأ عندها عملية الاتصال، عادة وقد يكون هذا المصدر هو الإنسان أو الآلة أو المطبوعات أو غير ذلك.¹

كما يقصد به الشخص الذي يبدأ عملية الاتصال، بإرسال الفكرة أو الرأي أو المعلومات من خلال الرسالة التي يقوم بإعدادها وقد يكون هذا الشخص المرسل هو مصدر الفكرة الأساسية (Source) وقد لا يكون هو المصدر.² مثل مقدم الأخبار الذي تصله التقارير والأخبار الصحافية من هنا وهناك من قبل المراسلين وما عليه هو سوى تقديمها في قالب محدد معتاد لدى الجمهور.

ثانياً: الرسالة (Message)

يمكن أن نقول أن الرسالة هي الموضوع أو المحتوى الذي يريد المرسل أن ينقله إلى المستقبل أو هي الهدف الذي تهدف عملية الاتصال إلى تحقيقه.³ فهي الناتج المادي للمرسل أو القائم بالاتصال الذي يصنع الفكرة أو المعلومة في كود. فحينما نتحدث يكون فحوى حديثنا هو الرسالة وحينما نكتب يكون المكتوب هو الرسالة وحينما نرسم فالصورة هي الرسالة.

و للرسالة كود ومضمون، فأما الكود فهو مجموعة من الرموز إذا وضعت في ترتيب معين على طريقة محددة يكون لها معنى معين عند الملتقي... فالموسيقى مثلاً كود من النوتات الموسيقية وأما مضمون الرسالة فهو مادة الرسالة من عبارات أو معلومات وأحكام اختارها المرسل للتعبير عن أهدافه، وإن أي تقديم ضعيف للرسالة ما يقلل من وقع أي دليل مهما كانت أهمية هذه الرسالة، إذ تتوقف فعالية هذه الأخيرة على حسن

1- محمد السيد فهمي، مرجع سابق، ص 29.

2- محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 25.

3- محمد السيد فهمي، مرجع سابق، ص 29.

تقديمها ومقدرة المتلقين على فهم المضمون وتذكره.¹

ثالثا: المستقبل (Reciver) أو المتلقى (Audience)

المستقبل هو الجهة أو الشخص الذي توجه إليه الرسالة ويقوم بحل رموزها (Message decoded) بغية التوصل إلى تفسير محتوياتها وفهم معناها وينعكس ذلك في أنماط السلوك المختلفة التي يقوم بها، ويجب ألا يقاس نجاح عملية الاتصال بما يقدمه المرسل ولكن بما يقوم به المستقبل سلوكيا فالسلوك هو المظهر والدليل على نجاح الرسالة وتحقيق الهدف.²

رابعا: الوسيلة (Channel or medium)

يمكن تشبيه الوسيلة بأنها القناة أو القنوات التي تمر خلالها الرسائل بين المرسل والمستقبل فهي باختصار عبارة عن قنوات للاتصال ونقل للمعرفة. وشأنها في ذلك شأن وسائل المواصلات، فكما أنه توجد عدة وسائل للسفر بين بلد وآخر ولا يمكن الانتقال إلا باختيار إحداها فكذا وسائل الاتصال فهي كثيرة ومتنوعة وضرورية ولا بد للرسائل أن تسلك إحداها وإلا توقفت عملية الاتصال.

وقد أضاف التقدم العلمي والتكنولوجي الكثير إلى وسائل الاتصال من وسائل سمعية بصرية عالية التقنية.

خامسا: رجع الصدى (feed back)

أوضحنا سلفا أن الاتصال عملية اجتماعية ويعد الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتنظيم واستقرار وتغيير حياته الاجتماعية، ولهذا فإن عملية الاتصال تسعى لتحقيق هدف عام وهو التأثير في المستقبل حتى يتحقق المشاركة في الخبرة مع المرسل وقد ينصب هذا التأثير على أفكاره لتعديلها أو تغييرها أو على اتجاهاته أو على مهاراته.³

ويقصد برجع الصدى رد الفعل (reaction) أو الاستجابة (response) التي تصدر من المتلقى للمستقبل بعد تلقيه رسالة مباشرة في شكل من أشكال التعبير أو صورته، ويدخل في ذلك تعبيرات الوجه أو الإشارات أو الإيماءات وقد يكون الرد إيجابيا يتفق مع أهداف المرسل أو سلبيا يتعارض معها.⁴

كما ابتعد مجموعة من العلماء عن نموذج لاسويل (Lasswell) وخاصة علماء الاجتماع المهتمين بضرورة البحث عن نماذج أخرى، ووجهوا عدة انتقادات للنموذج ومن أهمها أن لاسويل اهتم بالقائم بالاتصال باعتباره قادرا على الإقناع وتجاهل تماما المجال أو المناخ الاجتماعي الذي يتم الاتصال في إطاره وتناسى العامل الأيديولوجي. وأعاد روبرت إسكاربيت (escarpait) صياغته على نحو الآتي: من ؟ المستقبل ماذا ؟ في أي جماعة ؟ بغية أي تأثير ؟ وعدله ريمون نيكسون (r. Nixon) على نحو الآتي:

من ؟ يقول ماذا ؟، لمن ؟ ما هو تأثير ما يقال ؟ في أي ظرف ؟ ولأي هدف ؟ على أساس أنه قد يختلف

1- عاطف عدلي العبد، مرجع سابق، ص 91.

2- محمد السيد فهمي، مرجع سابق، ص 30.

3- المرجع نفسه، ص 32-33.

4- محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 27.

تأثير الرسالة عن الهدف منها تحت تأثير عوامل كثيرة من بينها الظروف التي يتم فيها الاتصال.¹

9- العوامل المساعدة على نجاح عملية الاتصال:

إن عناصر العملية الاتصالية السالفة الذكر يجب أن تجتمع كلها لتتم عملية الاتصال كما ينبغي، ويجب أن لا يقتصر الاهتمام بعنصر دون الآخر بل بها جميعا نظرا لأهمية كل عنصر في موقعه وتأثيره على عملية الاتصال، ولذلك فإن العوامل المساعدة على إنجاح هذه العملية تتعلق بعناصرها:

أولاً: عوامل تتصل بالمصدر أو المرسل:²

1- أن يكون المصدر أو المرسل موضع ثقة عند المستقبل لأن هذه الثقة هي الأساس الذي يبنى عليه المستقبل تصديقه الرسالة، والمعيار هنا ليس الثقة المطلقة، ولكن المعيار الحقيقي هو ما يتصوره المستقبل نفسه بصرف النظر عن الدافع.

2- ينبغي أن يتوفر في المرسل مجموعة من الشروط منها:

أ - وجود مهارات اتصالية، أي يجب أن تتوفر في المرسل مثل القدرة على استخدام اللغة اللفظية، ويكون لديه مهارة في الكتابة والخطابة والمناقشة، وكلها مهارة ماثرة على مقدرة المرسل في صياغة الرسائل التي تعبر عن أهدافه ونواياه وأن يكون لديه مهارة وقدرة على متابعة استجابة المستقبل لرسالته.

ب - توافر مستوى معرفي مناسب: ويقصد بالمعرفة التي تؤثر في فعالية عملية الاتصال إذا يجب أن يكون المرسل ملماً برسائلته عارفاً بكيفية تصميمها بطريقة تجذب انتباه المستقبل وتساعد على إدراكها، ويتضمن كذلك معرفته بخصائص اتجاهات المستقبل وأيضا بمعرفة خصائص وسائل الاتصال حتى تساعد كل منها في اختيار الوسيلة أو الوسائل التي تتناسب مع المستقبل.

ثانياً: عوامل متصلة بالرسالة³

تعتبر عملية إعداد الرسالة من أهم عوامل النجاح لذلك على المرسل أن يراعي جوانب عدة أثناء إعداد الرسالة نذكر منها:

1- أن يتناسب موضوع الرسالة مع حاجة المستقبل لأن هذا الأخير يعتبر حراً في اختيار وقبول الرسائل. وقد توصل فرانك لوثر إلى قاعدة تقول أن الاختيار متوقف على العلاقة من الفائدة التي ينتظرها المستقبل من جهة والجهد وبيذله من جهة أخرى، ويعبر عن ذلك على النحو الآتي:

الاختيار = الفائدة المرجوة من الرسالة

جهد المبذول في الحصول عليها

2- صياغة الرسالة بحيث تحوي على مثيرات تضمن استمرار انتباه المستقبل وتشوقه لمتابعة الرسالة.

1- عاطف عدلي العبد، مرجع سابق، ص 83-84.

2- محمد السيد فهمي، مرجع سابق، ص 89-90.

3- المرجع نفسه، ص 90.

3- اختيار الوقت المناسب لاستقبال الرسالة، فلكي تلقى الرسالة استجابة من المستقبل ينبغي أن توجه إليه في أوقات وأزمان تتناسب مع ظروفه.

4- يجب إن يصوغ المرسل رسالته صياغة تناسب المستقبل فلا يستعمل إلا الرموز أو اللغة التي يفهمها هذا المستقبل فالرمز الذي يستخدمه المرسل في رسالته يدل على معنى معيناً.

5- ينبغي إن تصاغ الرسالة بما يناسب مع وسائل الاتصال المتاحة للمرسل فالرسالة التي تبذل جهوداً مضنية في إعدادها مع عدم توفر الوسيلة التي تناسبها لنقلها إلى المستقبل تصبح عديمة الجدوى.

ثالثاً: عوامل متصلة بالمستقبل:¹

1 - يؤثر الإطار الدلالي للمستقبل على استجابته للرسالة، فكل جماعة وكل فرد له مجموعة من التصورات والاتجاهات التي تحكم سلوكه وفي نظرته للأشياء مشتقة من بيئة وثقافته يفسر من خلالها الشيء الجديد على ضوءه.

2 - سلامة الإدراك الحسي للمستقبل، فالإنسان يدرك الرسالة التي تعرض عليه عن طريق حواسه من سمع والبصر ومس وشم وذوق، إلا إن السمع والبصر هما أهم حواس في عملية الاتصال.

3 - دافعية المستقبل إلى المعرفة: من الخطأ الاعتقاد بأن إدراك المستقبل للرسالة أمر مضمون بمجرد إرسالها من المرسل عبر وسيلة من الوسائل وإنما يتوقف نجاح عملية الاتصال على ما لدى الإنسان من دوافع أو حاجات يريد إشباعها.

4 - مدى ملائمة الظروف المحيطة بالشخص المستقبل للرسالة، لأن الظروف المحيطة لها تأثير كبير على مدى تقبله للرسالة أو رفضها.

رابعاً: عوامل متصلة بوسائل الاتصال:²

لكل وسيلة من وسائل الاتصال مزايا ونواحي وقصور، وكما توفر عدد من هذه الوسائل أتاح ذلك الفرصة للمرسل لأن يختار من بينها الوسيلة أو الوسائل التي تتناسب مع الهدف المقصود وتتناسب مع صيغة الرسالة ومع طبيعة المستقبل وخصائصه.

و الملاحظ أن هذه الوسائل تتباين فيما بينها من حيث قدرتها على تحقيق هدف أو أهداف معينة، كما تتباين أيضاً في مدى قدرتها على نقل رسالة معينة

وقد عمل بعض الباحثين على تصنيف هذه العوامل في إطار الحديث عن حواجز عملية الاتصال إلى التشويش الدلالي أو اللفظي والتشويش الآلي - الميكانيكي اللذان يصاحبان كل أنواع المواقف والعمليات الاتصالية.

(1) التشويش الدلالي أو اللفظي:

ينتج عن التشويش الدلالي اختلاف في المعنى، والذي يتسرب إلى الرسالة عبر اللغة المستخدمة وكلما

¹- المرجع نفسه، ص 90-91.

²- المرجع نفسه، ص 94.

كثير الخلط والإرباك بين المشاركين في الوضع الاتصالي حول مدلولات ومعاني العبارات والأفكار كلما كثر التشويش الدلالي في الرسالة الذي يؤدي بدوره إلى سوء الفهم. ومستقبلوا الرسالة – في الواقع – يفرسونها بطرق مختلفة ومن ثم تنشأ لديهم دلالة ومفاهيم متباينة.¹

(2) التشويش الآلي الميكانيكي:

و يشار إليه غالبا باسم " المادي أو تشويش الوسيلة (القناة) وهو الضوضاء عند غير المتخصصين أو المهنيين خاصة في مجال وسائل الاتصال الاليكترونية والاتصال الشفهي الشخصي. فالتشويش الآلي على سبيل المثال هو الذي يشتت عملية الاتصال ويعوقها، ويكون واضحا في الراديو في الحالة التي يكون فيها الطقس رديئا. كما يحدث التشويش الآلي بوضوح على شاشة التلفزيون. وأما التشويش أثناء اللقاءات العامة فيظهر عادة بين المستقبلين في شكل همهمة وتأتأة وكحة وضحك وهمس بين جموع الحاضرين.

و بالنسبة للوسيلة المطبوعة فان التشويش يظهر في الطباعة الرديئة التي تؤدي بدورها إلى صعوبة القراءة أو إلى سقوط أو حذف سطر، أو طباعة بالمقلوب، وتظهر أيضا في الصفحات الممزقة والفقرات الساقطة.²

العناصر الأساسية لعملية الاتصال³

مصدر المعلومات المرسل القناة المستقبل رسالة إشارة إشارة مستقبلية رسالة الهدف

الوضع Code التشويش

10- وظائف وسائل الاتصال:

إن أي نظام اجتماعي مثل نظام الاتصال، يستعمل لأغراض محددة تستوجب التوضيح في مثل هذا المقام، فالالاتصال كنشاط اجتماعي له عدة وظائف، ويمكن حصر أهم الوظائف المشتركة بين وسائل الاتصال الجماهيرية فيما يلي:

1- الوظيفة الإخبارية:

تتجسد في جميع مختلف المعلومات وتخزينها ومع معالجتها ونشرها (أنباء، معلومات، صور، آراء، تعليقات... الخ) وهي أهم وظائف وسائل الاتصال.

و يسمى هارولد لاسويل الوظيفة الإخبارية وظيفة رصد المحيط... التي تضطلع بها مجموعات تتحرى في الوسط السياسي للدولة.⁴

يصف جان ستودزل (Jean Stœtzl) الوظيفة الإخبارية بأنها وظيفة مركزية، يتيح الإعلام من

¹- جون ميرل ورالف لونشتاين، مرجع سابق، ص 34 – 35.

²- المرجع نفسه، ص 34.

³- Christian. Baylon et Xavier. MIGNOT , op cit , p 40.

⁴- فريال مهنأ، مرجع سابق، ص 33.

خلالها الاتصال داخل المجتمع، بالتناغم مع مؤسسات عديدة أخرى.... عبر نشر المعلومات.¹

و يرى مالكوم ويلي (Wiley) أن أهم وظائف الإعلام هي تزويد المتلقي بالأخبار والمعلومات الخام. وقام تشارلز رايت (Charles Wright) بإعداد التحليل الوظيفي استنادا إلى مفهوم روبرت ميرتون (Rober Merton) حول وظائف الإعلام الظاهرة والكامنة وحول الخلل الوظيفي، ونجد الوظيفة الإخبارية التي يصفها رايت بأنها وظيفة الرصد - الأخبار - للاتصال الجماهيري... القائمة على اصطفاء المعلومات المحلية والوطنية والدولية وصياغتها ونشرها.²

2- الوظيفة التنقيفية والتعليمية:

التنقيف العام هدفه هو زيادة ثقافة الفرد بواسطة وسائل الإعلام وليس بالطرق والوسائل الأكاديمية التعليمية، والتنقيف العام يحدث في الإطار الاجتماعي للفرد أكان ذلك بشكل عفوي وعارض أو بشكل مخطط ومبرمج ومقصود.

والتنقيف العفوي هو مواجهة دائمة من جانب وسائل الإعلام للفرد، هذه المواجهة تقدم له - بدون أن يكون هو المقصود بالذات - معلومات وأفكار وصور وآراء، وهذا يحدث عندما يتجول الطالب في ساحة ملعب جامعتة فيفاجأ بجريد حائط أو بتلفزيون نادي الجامعة أو باللافتات المرفوعة في أماكن من الجامعة، وكلها تحمل عبارات تلفت نظره، فيندفع في قراءتها أو متابعتها فتعلق بعض الكلمات في ذهنه ويأخذ ببعض الآراء. أما التنقيف المخطط فهو حصيلة وظيفتي التوجيه والتبشير؛ لكن هناك بعض الحالات تقع في دائرة التنقيف المخطط كالبرامج الزراعية التي هي عبارة عن حلقات إرشاد للمزارعين يدعون إليها أو تبت إليهم عبر الإذاعة أو التلفزيون.³

و يبرز بعض علماء الاجتماع وظائف تتعلق بتعميم الثقافة وترتبط بنقل الإرث الاجتماعي من جيل إلى آخر، وتنوع موضوعات هذه الوظيفة من خلفيات فكرية وثقافية وقيمية وتستند إلى تقويمات اقتصادية واجتماعية خاضعة للحالة الحضارية التي يعيشها كل المجتمع.⁴

و تعتبر هذه الوظيفة أكثر بروزا في مجتمعاتنا الثالثة حين تلعب وسائل الاتصال دورا كبيرا في مجال التربية والتعليم والإصلاح الاجتماعي (محو الأمية، تعليم اللغة، تعليم الموازي والدائم، التربية الموازية...) ونظرا لطبيعة دور وسائل الاتصال فيه تخضع للنظام الاجتماعي السائد والذي يعمل في جميع الحالات على استعمالها في دعم الاتجاهات، تكييفها أو تغييرها عن طريق "صناعة" الرأي العام.⁵

فليس ثمة خلاف حول أن وسائل الاتصال اليومي يمارس عمل هيئات ومؤسسات تعليمية وتربوية وثقافية واجتماعية، إذ يعمم ثقافة جماهيرية ذات طبيعة معينة ويسهم في إحياء التراث ونشر الموروث الاجتماعي عبر الأجيال.

1- المرجع نفسه، ص 33.

2- المرجع نفسه، ص 34.

³<http://alredwan.jeeran.com/bohuthi3lamia/archive/2006/4/36740.html>, op.cit.

4- المرجع نفسه، ص 35.

5- فضيل دليو، مرجع سابق، ص 45.

3- وظيفة بناء العلاقة بين مختلف عناصر المجتمع:

ويعرف الاتصال الاجتماعي عادة بالاحتكاك المتبادل بين الأفراد بعضهم مع بعض، هذا الاحتكاك هو نوع من التعارف الاجتماعي يتم عن طريق وسائل الإعلام التي تتولى تعميق الصلات الاجتماعية وتنميتها.

فعندما تقدم الصحف كل يوم أخبارا اجتماعية عن الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات الاجتماعية والثقافية فإنها بذلك تكون صلة وصل يومية تنقل أخبار الأفراح من مواليد وزيجات، وأخبار الأحزان من وفيات وفشل وخسارة، وليست صفحة الولادات والوفيات والشكر بصفحة عابرة وغير مهمة في الصحف، بل إنها وسيلة للاتصال الاجتماعي اليومي بين جميع فئات الجماهير.

وأمر ثان هو قيام وسائل الإعلام كلها تقريبا بتعريف الناس ببعض الأشخاص البارزين أو الذين هم في طريق الشهرة سواء في مجال السياسة أو الفن أو المجتمع أو الأدب.

حيث يتيح الاتصال الفرصة لزيادة احتكاك الجماهير بعضهم ببعض وبذلك تتقوى الصلة الاجتماعية بين الأفراد. وي طرح تشارلز رايت (Charles Wright) هذه الوظيفة ويعتبرها من أهم الوظائف الإقناعية، فهي كما يقول بيير ألبر (Pierre Albert) تفتح حوارا مع العالم وتكسر عزلة الأفراد... وتساعد على انتشار القيم السياسية... وتشارك في تفعيل الحياة الاجتماعية... وتسهم في تنظيم ردود الأفعال وتوازنها... وتخلق الضمير الجماعي وهي الوظيفة التي يجد جان ستود زل (J. Stœtzel) بأنها تحقق الانتماء الاجتماعي للأفراد والمجموعات، ويرى هارولد لاسويل أنها تتسق وردود أفعال مختلف أطراف المجتمع على الوسط المحيط.¹

4- الوظيفة الإعلانية:

و يتم ذلك أساسا خلال الإعلانات والبرامج الإرشادية والتوعية وكذا الوظيفية التسويقية، وعليه من المفروض على جميع الدول النامية أن تلجأ إلى تطوير نظمها الخاصة بالاتصال ووضع استراتيجيات محددة لها للتحكم في اقتصادها وتنمية. ومن المؤكد أن الإعلان تقانية هدفها سواء تسهيل نشر وتعميم أفكار معينة، سواء تيسير علاقات اقتصادية بين بعض الناس الذين يمتلكون سلعة أو خدمة ويريدون تقديمها لآخرين لديهم استعداد لاستعمال هذه السلعة أو الخدمة. هذا الهدف يمكن أن يكون تجاريا ويمكن أن يكون غير تجاري أي غير ربحي كالإعلان الاجتماعي والإعلان السياسي والثقافي والتنموي...²

تقوم وسائل الإعلام بوظيفة الإعلان عن السلع الجديدة التي تهتم المواطنين، كما تقوم بدور هام في حقول العمل والتجارة عندما تتولى الإعلان عن وجود وظائف شاغرة أو وجود موظفين مستعدين للعمل، أو عندما تتولى الإعلان عن إجراء مناقصة أو وضع التزام موضع التنفيذ... الخ.

ولهذا استطاعت وسائل الإعلام على تنوعها من صحافة وتلفزيون وسينما وأحيانا إذاعة، أمام تعقيد الحياة وتعدد ما فيها من اختراعات وصناعات واكتشافات أن تقوم بمهمة التعريف بما هو جديد وتقديمه إلى الجمهور وعرض فوائده وأسعاره وحسناته بشكل عام.

¹ - فريال مهنا، مرجع سابق، ص 34 - 35

² - المرجع نفسه، ص 36 - 37.

5- وظيفة الترفيه والإمتاع:

و تشارك هذه الوظيفة الوظائف الأخرى في غايتها... فهي وظيفة تثقيفية وتعليمية وتنموية، ولكن في قالب طريف، مستتر وغير مباشرة تستغل فيها ساعات " الفراغ ". مثلما تقوم به وسائل الإعلام عند الجمهور بواسطة الأبواب المسلية في الصحف أو كالبرامج الكوميدية في التلفزيون.

إن مفهوم الترفيه هو مفهوم شديد الخطورة، إذ تتمثل فكرته الأساسية في أنه لا يتصل من بعيد أو قريب، بالقضايا الجادة للعالم، وإنما هو مجرد شغل أو ملء ساعة من الفراغ. والحقيقة أن هناك إيديولوجية مضمرة – بالفعل- في كل أنواع القصص الخيالية، فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل آراء الناس فوظيفة الترفيه ليست ثانوية كما تعتقد العامة من الناس وتتأثر اتجاهاتنا وسلوكياتنا بالمواد الترفيهية التي نتعرض لها بنفس الدرجة أو أكثر من تأثرها بحجج السياسيين أو مواقف المثقفين.¹

في الحالتين تأخذ وسائل الإعلام في اعتبارها مبدأ واضحا وهو أن برامج الترفيه والتسلية ضرورية لراحة الجمهور ولجذبه إليها؛ وحتى في مجال الترفيه هناك برامج وأبواب ترفيه موجه يمكن عن طريقها الدعوة إلى بعض المواقف ودعم بعض الاتجاهات أو تحويلها وحتى تغييرها، وهذا يتطلب بالطبع أساليب مناسبة من جانب وسائل الإعلام.

و يرى جان كازنوف (jean cazeneuve) أن الطقوس والأساطير كانت تؤدي هذه المهمة في المجتمع التقليدي، أما اليوم فإن الإعلام الجماهيري هو الذي يقوم بهذه المهمة في المجتمعات المعاصرة عبر رسائل ينقلها تحتوي عناصر ملتصقة بالواقع وملتبقة بالخيال في اللحظة نفسها، وإن بنسب متغيرة. لذلك فالإعلام مضطر للهروب في كل لحظة من الواقع محتفظا في الوقت نفسه بصله ووثيقة. مع هذا الواقع... ويطلق عليها كازنوف وظيفة الاستحالة (transimulation).²

ثالثا: علاقة النظام الاتصالي بالنظام السياسي

مفهوم نظريات الإعلام:

يقصد بنظريات الإعلام خلاصة نتائج الباحثين والدارسين للاتصال الإنساني بالجماهير بهدف تفسير ظاهرة الاتصال والإعلام ومحاولة التحكم فيها والتنبؤ بتطبيقاتها وأثرها في المجتمع، فهي توصيف النظم الإعلامية في دول العالم.

تمت بلورة نظريات فكرية وسياسية للإعلام لأول مرة عام 1956 عندما بادر ثلاثة باحثين إعلاميين بالولايات المتحدة الأمريكية ف.سيبيرت (F.Siebert) وج.بيترسون (J.Peterson) وو. شرام (W.Schramm) في كتابهم المعنون النظريات الأربع للصحافة (Four Theories Of The Press) إلى صياغة عدد من النظريات التي سادت خلال حقبة متتابعة من تاريخ الإنسانية، مارس الإعلام فيها نشاطا ينسجم في جوهره، مع تلك البنيات، كما بادروا بتقديم نظرية جديدة وطالبوا بضرورة تطبيقها، نتيجة اقتران

1- فضيل دليو، مرجع سابق - ص 46 - 47.

2- فريال مهنا، مرجع سابق، ص 37 - 38.

جملة من المستجدات في أعقاب الحرب العالمية الثانية يرتبط بعضها بالتمركز الهائل الذي عرفه الإعلام الجماهيري، وبفعاليته المعلوماتية الكبيرة وبتعاظم وظيفتها الإعلانية، إذ أصبح الإعلان يحتل الموقع الأول في الصحف وفي الإذاعة.¹

و من أهم المساعي أيضا لتجديد الرؤى في تصنيف نظريات الإعلام ما اقترحه دونيس ماكويل (Denis Mc Quail) في كتابه المعنون "نظرية الاتصال الجماهيري" (Mass communication) الصادر عام 1978 الذي أراد من خلاله إضافة نظريتين على تصنيف سيبيرت. وتصف النظرية الخامسة النظام الإعلامي بالمجتمعات النامية والسادسة تتجه إلى دراسة المجتمعات في ظل التطور التكنولوجي والاحتكار المتصاعد في وسائل الإعلام والاتصال. ولكن يبقى أساس هذا التصنيف "النظريات الأربع" التي لازالت حد الساعة تحكم إلى كبير حد كبير البحوث الإعلامية منذ صياغتها.

وقد قسمنا النظريات تبعا للتصنيف المرجعي لسيبيرت إعطاءا للخلفية التاريخية الأصلية لنظريات الإعلام، وسترد أيضا تجديداً ماكويل على هذا التصنيف.

علاقة نظريات الإعلام بفلسفة الإعلام:

هناك علاقة بين نظريات الإعلام وفلسفة الإعلام، وفلسفة الإعلام هي بحث العلاقة الجدلية بين الإعلام وتطبيقاته في المجتمع، أي تحليل التفاعل بين أسس الإعلام كعلم وبين ممارساته الفعلية في الواقع الاجتماعي، ويرى النظريون أن نظريات الإعلام جزء من فلسفة الإعلام، لأن فلسفة الإعلام أعم وأشمل من النظريات، وكثيراً ما شاع استخدام نظريات الإعلام باعتبارها فلسفة الإعلام أو مذاهب الإعلام، ولكن في واقع الأمر أن استخدام تعبير نظريات الإعلام كان في مجمله انعكاساً للحديث عن أيديولوجيات ومعتقدات اجتماعية واقتصادية أو الحديث عن أصول ومنابع العملية الإعلامية (مرسل، ومستقبل، ووسيلة... الخ)

وترتبط النظريات بالسياسات الإعلامية في المجتمع، من حيث مدى التحكم في الوسيلة من الناحية السياسية، وفرص الرقابة عليها وعلى المضمون الذي ينشر أو يذاع من خلالها، فهل تسيطر عليها الحكومة أم لها مطلق الحرية أم تحددها بعض القوانين.² ويمكن تقسيم هذه النظريات على النحو التالي:

1) النظرية السلطوية (the authoritarian theory):

يرى ماكويل أن مصطلح السلطوية كما نص عليه سيبيرت ما زال هو المصطلح المناسب، وهو يشير إلى وضع الصحافة خلال مرحلة نشأتها، وتستخدم الصحافة في هذه النظرية لزيادة سيطرة الدولة وللدفاع عن مصالح الطبقة الحاكمة، كما يشير المصطلح إلى أوضاع للصحافة موجودة في الوقت الراهن حيث تكون الصحافة مؤيدة بشكل كامل للسلطة، وتستخدم لزيادة سيطرة وقوة الدولة.³

¹ -F.Siebert & others, **Four theories of the press**, Urbana University of Illinois press, 1963, P 153. في فريال مهنا، مرجع سابق، ص 72.

² <http://alredwan.jeeran.com/bohuthi3lamia/archive/2006/4/36740.html>, op.cit

³ - سليمان سالم صالح، " مفهوم حرية الصحافة: دراسة مقارنة بين جمهورية مصر العربية والمملكة المتحدة في فترة من 1945-1985 " رسالة دكتوراه جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة 1991، ص1.

ارتبط ظهور النظام السلطوي في الإعلام بالنشأة الأولى للصحف في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر في أوروبا الغربية , وهو يعتبر أقدم الأنظمة الإعلامية من الناحية التاريخية وظل هذا النظام يسيطر على الصحافة في أوروبا طوال قرنين كاملين وحتى قيام الثورة الفرنسية عام 1789 ولا يمكن فهم طبيعة النظام السلطوي للصحافة بدون التعرف على طبيعة النظام السياسي الذي كان قائما في ذلك الوقت , فقد عرفت أوروبا الغربية في هذه الفترة لونا من الحكم كان مزيجا من الحكم الاستبدادي والحكم المطلق.

ولا يخضع الحاكم في الحكم الاستبدادي للقوانين الوضعية , ولا يعرف لسلطانه حدا , إرادته هي القانون. وفي الحكم المطلق تكون السلطة كلها مركزة في يد شخص واحد أو هيئة واحدة تحكم بواسطة قوانين تخضع لها. وكانت معظم الملكيات التي قامت في أوروبا طوال القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر موزعة ما بين الحكم الاستبدادي والحكم المطلق، ومستندة في ذلك على بقايا الفكر الإقطاعي وفلسفات العصور الوسطى حيث سادت الحق الإلهي للملك.¹

و تقوم القاعدة الفلسفية للنظرية السلطوية على أفكار أفلاطون , أول وأعظم مناصر لـ"القانون والنظام" بل والمدافع عن الطبقة الارستقراطية في الحكم. وهذا في الأساس اتجاه نخبوي يعكس الشك في الجماهير , وكذلك يمكن اعتباره بالمفهوم الغربي موقف غير ديمقراطي، فالناس غير قادرين عقليا وغير مهيين نفسيا وليسوا أكفاء لاتخاذ القرارات بأنفسهم وعندما يمتلكون السلطة فإنهم يشكلون خطرا لكل المجتمع....وعليه يجب أن تتولى الحكم مجموعة خاصة من الناس لها اهتمامات معينة، وكفاءة خاصة لتجميع السلطة وتديرها.²

وقد شارك الكثير من الكتاب والمفكرين منذ أفلاطون في تطوير الفلسفة السياسية النخبوية الشمولية منهم مكيافيللي وهوبز وهيجل ونييتشه. وتحت هذا الاتجاه فإن الصفة هي التي تحتوي وسائل الإعلام وتراقبها وتملي عليها... وفي الحقيقة كما أوضح فريدريك هايك في " الطريق إلى العبودية " (1944) ليس هناك فارق حقيقي في الفلسفة الأساسية لليمينيين واليساريين فكلاهما يدافع عن نظام الدولة والسيطرة.³

و يلخص ماكويل (Mcquail) المبادئ الأساسية لهذه النظرية فيما يلي⁴:

- 1- إن وسائل الإعلام يجب ألا تنشر ما يمكن أن يؤدي إلى إضعاف سلطة الدولة أو إزعاج النظام.
- 2- إن وسائل الإعلام يجب أن تؤيد بشكل دائم السلطة القائمة.
- 3- إن وسائل الإعلام يجب أن تتجنب أية إساءة إلى الأغلبية أو الطبقة المسيطرة أو القيم السياسية والأخلاقية.
- 4- الرقابة مبررة لتدعيم هذه المبادئ.
- 5- يعتبر فعلا جنائيا كل هجوم على السلطة أو السياسة الرسمية أو القيم الأخلاقية.

1- حسن عماد مكاوي، أخلاقيات العمل الإعلامي:دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994، ص64-65.

2 - جون ميرل ورالف لونشتاين، مرجع سابق، ص231-232.

3- المرجع نفسه، ص 232.

4- سليمان سالم صالح، مرجع سابق، ص 2.

6- الصحفيون لا يتمتعون بأي استقلال داخل المنظمات الإعلامية.

و تقوم السلطة الحاكمة في هذه النظرية بفرض الكثير من القيود على حرية الصحافة مثل القيود التشريعية التي تعاقب على كل ما يمكن أن يؤدي نشره إلى الإساءة للنظام، وضرورة الحصول على ترخيص لإصدار الصحف من السلطة القائمة، ويحق لهذه السلطة منح الترخيص أو حجبها، ثم الرقابة المسبقة على النشر، وحق السلطة في تعطيل الصحف أو إلغائها.¹

(2) النظرية الليبرالية (The Libertarian Theory):

تمثل النظرية الليبرالية تطورا لمبادئ فلسفية تضع الأسس لبناء سياسي واجتماعي تعمل في إطاره الصحافة، وهي تهدف إلى تحرير الإنسان من أية قيود خارجية باعتباره عقلانيا مفكرا وقادرا على تنظيم الحياة من حوله باتخاذ القرارات الرشيدة.

و يتفق معظم المؤرخين على أن الكنيسة كانت تمارس رقابة على الكتابات الأدبية قبل اختراع المطبعة خشية منها أن يكون لهذه الأخيرة تأثير هدام. ولكن بالاختراع الجبار للطباعة من طرف يوحنا غوتنبرغ (Johannes Gutenberg) في القرن الخامس عشر حوالي 1436 قد سمح بنشر الكتب والمنشورات وتداولها بين أفراد الشعب.²

فظهرت النظرية الليبرالية على أنقاض النظرية السلطوية التي بدأت تفقد مع الزمن مبررات قيامها بفعل عدة عوامل ثقافية، سياسية واقتصادية... إلخ وتعود بالأساس إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر في كل من بريطانيا وأمريكا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر وذلك في ظل نداءات فلاسفة التنوير أمثال جون ميلتون (John Milton) وجون لوك (John Locke) وجون ستيوارت ميل (John Stuart Mill) في بريطانيا وتوماس جيفرسون (Thomas Jefferson) في أمريكا. واستهدف هؤلاء تقليل القيود التي تفرضها الدولة على الفرد إلى أقصى حد، لأن المبرر الوحيد لوجود السلطة في المجتمع الليبرالي هو حماية الفرد ومنع الضرر عنه.

و تتجذر أصول الفكر التنويري في دعم الحقوق الطبيعية للإنسان وتكمن أحد هذه الحقوق في حق البحث عن الحقيقة وكبح كل ما يعيق تحقيق ذلك من طرف الملك أو الحكومة أو غيرها. "ففي الاتجاه الليبرالي هناك علاقة وثيقة بين الحاكم والمحكوم، وهناك ثقة في الجماهير، وهناك اعتقاد بأن الأغلبية يمكن أن تصل إلى الحقيقة وتتخذ قرارات، إن هذه الثقة في الجماهير ترتبط بوسائل الإعلام لكونها الوسيلة التي يجب أن تعلم الناس لكي يعرفوا وينتخبوا ممثليهم ويقوموا بتوجيههم وتغييرهم عند الضرورة ونظريا فإن الأمة الليبرالية هي التي يضع الناس فيها ضوابط للقيادة وليس العكس كما هو الحال في النظام السلطوي".³

و بالتالي فإن هذه النظرية تثق بالفرد وتدعو إلى تحقيق الحريات الفردية وترى أن المجتمع يتمكن من اتخاذ القرارات العقلانية إلا إذا توفر مجال واسع لإبداء الرأي وحرية التعبير. وتعتبر هذه النظرية أن كل

¹- حازم النعيمي، الحرية والصحافة في لبنان، العربي للنشر والتوزيع، لقاهرة، 1989، ص 15.

²- Gernot. Rotter , « La liberté d'expression et civilisation: un dialogue des cultures », Revue Deutschland ,Almagne N°1, Ferrier- Mars 2000, p54.

³- جون ميرل و رالف لونشتاين، مرجع سابق، ص 233.

الأفكار والآراء يتعين أن تكون عامة للجميع. وكل الفلاسفة الليبراليون " كانوا يعتقدون أن كل أنواع المعلومات والأفكار يجب أن تكون علنا وفي متناول يد الجميع، وكانوا يكرهون السرية ويعتقدون أنه يجب ألا تكون هناك رقابة مسبقة، وأن النقد الحر أساسي للسعادة والنمو. إنهم في الأساس ديمقراطيون وليسوا أوتوقراطيين أو أرسقراطيين "1.

لقد تركت المبادئ الليبرالية تأثيرا كبيرا في مفهوم حرية الصحافة وحاول كارل بيكر (Carl Becker) تلخيص حرية الصحافة في ظل الافتراضات التالية:

- 1- للإنسان الرغبة في معرفة الحقيقة.
- 2- أن الأسلوب الوحيد للوصول إلى الحقيقة هو التنافس الحر بين الآراء في سوق مفتوح للآراء.
- 3- أن الرأي الأكثر رشدا هو الذي سيتم قبوله في النهاية، لأن الإنسان الرشيد في مقولة لجون ميلتون (John Milton) (1674-1608) " يمكنه أن يميز بين الخطأ والصواب، والصالح وغير الصالح "2.
- و تعد المقالة النقدية الشهيرة (Areopagitica) التي كتبها الشاعر جون ميلتون حتى اليوم من أهم كتاباته حول الدفاع عن حرية التعبير وحرية الكلمة وتوضيح معانيها وهذا عام 1644 وانتقد فيها الرقابة الدينية وبخاصة تسلط الديانة الأرثوذكسية ويقول بهذا الصدد: " أن قتل إنسان يؤدي إلى القضاء على كائن مفكر لكن حجز كتاب جيد يؤدي إلى تحطيم الفكر ذاته "3.
- أما عن جون لوك (John Locke) (1704-1632) فقد نشر كتاب " المعالجات " (Treatises) الذي دعا فيه إلى نقل سلطة الملك الذي يستخدم الحق الإلهي إلى البرلمان الذي يمثل الشعب. "و يعتقد أن العقد الاجتماعي لا يتضمن صلاحيات مطلقة للحاكم، وبالتالي فإن سلطة الحاكم تكون مقيدة "4.
- و قد حاول توماس جيفرسون (Thomas Jefferson) (1826-1743) أن يجسد أفكاره على أرض الواقع، وعلى الرغم من إيمانه باحتمال تعرض الفرد للخطأ في ممارساته الفكرية، إلا أنه يعتقد أن الأغلبية سوف تصل حتما إلى القرارات الصائبة، وحتى يتحقق ذلك يجب أن يكون الأفراد متعلمين وعلى دراية بما يحدث حولهم. ومن هنا كان إيمان جيفرسون بحرية الصحافة باعتبارها المصدر الأساسي للمعلومات، فهي تعلم الفرد وتراقب الحكومة حتى لا تنحرف بعيدا عن أهدافها.5
- فلم تعد الحقيقة في الفلسفة الليبرالية ملك للسلطة ولكن حق البحث عنها من الحقوق الطبيعية للإنسان التي لا يمكن إنكارها ويكون دور الصحافة - بذلك - كمشارك في عملية البحث عن الحقيقة ومراقبة نشاطات الحكومة ومن ثم سميت "بالسلطة الرابعة" إضافة إلى السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية كسلطة مستقلة

1- المرجع نفسه، ص 233.

2- بسيوني إبراهيم حمادة، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه (21)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص 164.

3- Gernot. ROTTER, op.it, P54.

4- هاني سليمان الطعيمات، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2003 ص 85.

5 - بسيوني إبراهيم حمادة، مرجع سابق، ص 164.

في عملية السعي إلى إظهار الحقيقة في تسيير شؤون الحكم والمجتمع.

و في فرنسا نهض فلاسفة القرن الثامن عشر من أمثال فولتير (Voltaire) ومونتسكيو (Montesquieu) وجان جاك روسو (Jean Jacque Rousseau) بعبء الدفاع عن الحرية في مختلف ميادينها ومنها حرية الرأي والتعبير محاولين إسناد هذه الحريات إلى أفكار من القانون الطبيعي وفكرة العقد الاجتماعي حيث أن روسو (1712-1778) يرى " السلطة خاضعة لإرادة المجموع، والقوانين التي تقوم على تنفيذها تشهد شرعيتها وقوتها الملزمة للأفراد من كونها تعبيراً عن الإرادة العامة، أي إرادة الشعب على أساس أنه المصدر الأول والأخير لها".¹

ويحدد ماكويل العناصر الأساسية لهذه النظرية في:²

1. أن النشر يجب أن يكون حراً من أية رقابة مسبقة.
2. أن مجال النشر والتوزيع يجب أن يكون مفتوحاً لأي شخص أو جماعة بدون الحصول على رخصة.
3. أن النقد الموجه إلى أية حكومة أو حزب سياسي أو مسئول رسمي يجب ألا يكون محلاً للعقاب حتى بعد النشر.
4. ألا يكون هناك أي نوع من الإكراه أو الإلزام بالنسبة للصحف.
5. أن نشر الخطأ يجب حمايته بشكل مساو لنشر الحقيقة في مسائل الرأي والعقيدة.
6. عدم وجود أية قيود على جمع المعلومات بالوسائل القانونية.
7. ألا يكون هناك أي قيد على استيراد أو تصدير أو إرسال أو استقبال الرسائل عبر الحدود القومية.
8. يجب أن يتمتع الصحفيون بالاستقلال المهني داخل منظماتهم.

ومن أهداف نظرية الحرية تحقيق أكبر قدر من الربح المادي من خلال الإعلان والترفيه والدعاية، لكن الهدف الأساسي لوجودها هو مراقبة الحكومة وأنشطتها المختلفة من أجل كشف العيوب والفساد وغيرها من الأمور، كما أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمتلك الحكومة وسائل الإعلام؛ أما كيفية إشراف وسائل الإعلام في ظل نظرية الحرية فيتم من خلال عملية التصحيح الذاتي للحقيقة في سوق حرة بواسطة المحاكمة.

وما يميز هذه النظرية أن وسائل الإعلام وسيلة تراقب أعمال وممارسات أصحاب النفوذ والقوة في المجتمع، وتدعو هذه النظرية إلى فتح المجال لتداول المعلومات بين الناس بدون قيود من خلال جمع ونشر وإداعة هذه المعلومات عبر وسائل الإعلام كحق مشروع للجميع.

لقد تعرضت نظرية الحرية للكثير من الملاحظات والانتقادات، حيث أصبحت وسائل الإعلام تحت شعار الحرية تُعرض الأخلاق العامة للخطر، وتقحم نفسها في حياة الأفراد الخاصة دون مبرر، وتبالغ في الأمور التافهة من أجل الإثارة وتسويق المادة الإعلامية الرخيصة، كما أن الإعلام أصبح يحقق أهداف الأشخاص

¹ - هاني سليمان الطعيمات، مرجع سابق، ص 85.

² - سليمان سالم صالح، مرجع سابق، ص 5.

الذين يملكون على حساب مصالح المجتمع وذلك من خلال توجيه الإعلام لأهداف سياسية أو اقتصادية، وكذلك من خلال تدخل المعلنين في السياسة التحريرية، وهنا يجب أن ندرك أن الحرية مطلوبة لكن شريطة أن تكون في إطار الذوق العام، فالحرية المطلقة تعني الفوضى وهذا يسيء إلى المجتمع ويمزقه.

أما عن المشكلة الرئيسية التي تواجه حرية الصحافة في النظم الليبرالية فهي تتعلق بحدود هذه الحرية، لأن الحرية لا يمكن أن تكون مطلقة لهذا يرى سيبيرت (Siebert) بأن السؤال الذي يواجه فلاسفة النظرية هذه هو: ما هي حدود الحرية في ظل مجتمع ديمقراطي يرفض انتهاك الأفكار والمبادئ الليبرالية؟¹

3) نظرية المسؤولية الاجتماعية (The Social responsibility theory):

تبنى الصحفيون في المجتمعات الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين معيار " الموضوعية " عند تغطية الأخبار والتقارير وتعنى بالبحث الموضوعي عن الحقائق، بغض النظر عن المشاعر والمعتقدات، وكان الاعتراض على تقديم التقارير الموضوعية يعد مخالفة للحقوق الدستورية، وباسم التقارير الموضوعية قدمت الصحافة الأمريكية والغربية كل شيء وأي شيء، وقد أدى ذلك إلى ظهور تساؤلات عن الحد الفاصل بين الحرية والمسؤولية عند تغطية الموضوعات الصحفية، ومن الذي يحق له أن يرسم هذا الخط؟²

إن الامتداد العارم للإحساس بالحرية في الأنظمة الليبرالية للإعلام قد شمل التحرر من أية مسؤولية اتجاه عامة الناس وانطوت على المغالاة في تقديم مواد الجريمة والجنس والعنف واقتحام الحياة الخاصة للشخصيات العامة، ونشر الإشاعات والأكاذيب عن فساد المسؤولين الحكوميين.... الخ.

و تضافرت عوامل متعددة أدت إلى ميلاد نظرية المسؤولية الاجتماعية من بينها:³

أ- الثورة التكنولوجية والصناعية وهذه الثورة لم تغير وجه الحياة في الولايات المتحدة – مهد النظرية – فقط ولكن هذه الثورة أثرت على طبيعة الصحافة ذاتها.

ب- النقد المرير الموجه للصحافة ولوسائل الإعلام بالنسبة لنمو حجمها وزيادة احتكاراتها وأهميتها مما جعلها عامل ضغط حتى على الحكومة نفسها وربما يؤدي إلى عرقلة إجراءاتها.

ج- الجو الفكري الجديد.. الذي عبر فيه بعض المفكرين عن شكهم في الفروض الأساسية التي تقوم عليها نظرية الحرية بجوانبها المطلقة.

د- إرساء قواعد المهنة الصحفية خصوصا بعد اشتغال كثير من المفكرين والمتعلمين على مستويات عالية بهذه المهنة.

و قد ورد مفهوم المسؤولية الاجتماعية لإدراك أكثر واقعية للطبيعة البشرية، ويتم الإعلان حينها عن هذه النظرية في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل " لجنة حرية الصحافة ".

1 - بسيوني إبراهيم حمادة، مرجع سابق، ص 165.

2- حسن عماد مكاوي، مرجع سابق، ص 68-69.

3 - أحمد بدر وعبد غريب، الاتصال بالجمهور: بين الإعلام والتطويع والتنمية، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 223.

(Commission of freedom of the press) المتشكلة من أشخاص لامعين من خارج المجال الإعلامي ويترأسها روبرت.م هاتشينز (Robert. M Hutchins)¹.

ووضعت هذه اللجنة تقريراً في عام 1947 بعنوان " صحافة حرة ومسؤولة " (A free and responsible press)².

و أشارت هذه اللجنة التي سميت فيما بعد ب " لجنة هاتشينز " في تقريرها الذي أشرف عليه هوكينغ (W.E.Hocking)³ إلى العلاقة الواصلة بين الصحافة والمجتمع وركزت على الحاجة إلى صحافة مسؤولة اجتماعياً. لأن الصحافة باعتبارها تنعم بوضع متميز.

تتأسس نظرية المسؤولية الاجتماعية على أن وسائل الإعلام تقوم بوظائف أساسية في المجتمع خاصة فيما يتعلق بالسياسات الديمقراطية وعلى ذلك فوسائل الإعلام ملزمة بتنفيذ وظائف مميزة كما أن عليها أن تلتزم بمجموعة من المعايير المهنية. لذلك فقد طرحت النظرية بعض الحلول المتمثلة في التنظيم الذاتي لمهنة الصحافة وذلك من خلال إصدار موثيق لحماية حرية التحرير وإصدار قوانين للحد من الاحتكار وإنشاء مجالس للصحافة والإعلام وإنشاء نظام لتقديم إعلانات الصحف.

وتصبح الرقابة ذاتية بالدرجة الأولى , في النظم الإعلامية القائمة على المسؤولية الاجتماعية , فالإعلاميون لا المسؤولون الحكوميون هم المسؤولون عن تدفق المعلومات والأداء إلى المجتمع , ومعيارهم في ذلك هو المصلحة العامة لا مصلحة الحكومة فقط.⁴

و تكون مهام الصحافة في ظل نظرية المسؤولية الاجتماعية:⁵

- 1- حماية حقوق الأفراد عن طريق مراقبة أعمال الحكومة.
 - 2- خدمة النظام الاقتصادي عن طريق تسويق الإنتاج والخدمات إلى المستهلكين اعتماداً على الإعلان.
 - 3- تقديم الترفيه للمجتمع.
 - 4- تنوير الجمهور حتى يكون قادراً على حكم نفسه بنفسه.
 - 5- المحافظة على استقلالها المالي حتى تظل متحررة من أي ضغوط خارجية يمكن أن تفرض عليها.
- ويلخص ما كويل (D.MC QUAIL) المبادئ الرئيسية لنظرية المسؤولية الاجتماعية كما يلي:⁶
- 1- هناك التزامات معينة للمجتمع يجب أن تقبلها وسائل الإعلام.

1 - رئيس جامعة شيكاغو.

2 - Claude – Jean.BERTRAND, Op.Cit, P13.

3- أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد.

4- بسيوني إبراهيم حمادة، مرجع سابق، ص 167.

5- المرجع نفسه، ص 167-168.

6 - محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، الطبعة 1، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص 343-344.

2- إن تنفيذ هذه الالتزامات يجب أن يكون من خلال المعايير المهنية الراقية لنقل المعلومات مثل الحقيقة والدقة والموضوعية والتوازن.

3- قبول هذه الالتزامات وتنفيذها يتطلب التنظيم المهني الذاتي لوسائل الإعلام في إطار القوانين والمؤسسات القائمة.

4- يجب أن تتجنب وسائل الإعلام – بأي حال – في النشر والإذاعة ما يمكن أن يؤدي إلى الجريمة والعنف والفوضى ويثير الأقليات في المجتمع.

5- تعدد الوسائل الإعلامية يعكس تنوع الآراء في المجتمع، وحق الأفراد في الرد والتعليق في مختلف وجهات النظر.

6- الالتزام بالمعايير السابقة يجعل الجمهور والمجتمع يتوقع إنجازا راقيا، وبالتالي فإن تدخله في هذه الحالة يستهدف تحقيق النفع العام.

7- يجب أن لا تقل مسؤولية الصحفيين أو المهنيين في وسائل الإعلام أمام المجتمع عن مسؤوليتهم أمام الملاك وأسواق الصحف في التوزيع والإعلان.

فقد جاءت نظرية المسؤولية الاجتماعية كمجموعة أفكار تهدف من خلالها إلى إصلاح أوضاع الصحافة في حينها والإعلام بصفة عامة في المجتمعات الغربية ومن داخل النظام الليبرالي ذاته. كما أن مجمل ما طرحته من أفكار لم تنتج له فرصة التنفيذ إلا قليلا أو إن لم نقل بشكل كامل، فقد نظر الصحفيون الأمريكيون إلى هذه الأفكار على أنها تمثل اتجاها نحو الاشتراكية.

و أثار تقرير لجنة هاتشينز جدلا واسعا في الدول الغربية باعتباره ينطوي على تهديد الاتصال الحر المفتوح، وعلى الرغم من أن العديد من الصحفيين الغربيين يدافعون عن المسؤولية الاجتماعية للصحافة باعتبارها أمرا تقليديا لا سبيل إلى مناقشته، إلا أنهم يرون دور الحكومة في إجبار الصحف على ذلك اتجاها ينطوي على خطر يهدد في النهاية حرية الصحافة.¹

(4) النظرية الشيوعية: (The communist theory):

و جرى تطبيقها في الاتحاد السوفيتي في بدايات القرن العشرين وامتدت إلى أوروبا الشرقية بعد عام 1949. وامتدت إلى جزء كبير من دول العالم الثالث في الستينات.²

و اشتقت هذه النظرية إيديولوجياتها من أفكار ماركس وإنجلز، وأحكام التطبيق التي وضعها لينين وستالين بحيث تسيطر الدولة على وسائل الإعلام باسم الشعب عن طريق التحكم في مصادرها ومواردها الطبيعية والمادية.. ولم يعد هناك بالتالي وسائل إعلام يملكها الأفراد لأنها تعكس الإيديولوجية السوفيتية الرسمية.

¹- المرجع نفسه، ص 169.

²- Claude - Jean.BERTRAND , **Media ethics and accoutability systems** ,Transaction publishers, New brunswick ,New Jersey (USA) ,2000, P12.

و لقد قام الباحث ولبورشرام (Wilber Schramm) بتحليل النظرية السوفيتية للإعلام، وهو يقول بأن السوفييت لا ينظرون إلى وسائل الإعلام الجماهيري على أنها سلطة رابعة تراقب السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فتنشر أخبار هذه السلطات وتنقد أعمالها كما تفعل أجهزة الإعلام في الغرب، الغرب، ولكن وسائل الإعلام الجماهيري تعتبر- ومنذ الثورة البلشفية سنة 1917- أداة جماعية للدعاية والترويج للإيديولوجية الشيوعية...¹

وانطلق لينين من رؤيته النظرية من الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج ومن دكتاتورية البروليتاريا عبر الحزب الثوري الطبيعي الذي يرتبط بالثورة البلشفية وصراعاتها في روسيا القيصرية آنذاك، وبالظروف الدولية التي أحاطت بالدولة السوفيتية الفتية وأيضاً من تكوين لينين وشخصيته كصانع ثورات ومحرض سياسي، في الوقت الذي أدرك فيه لينين ظهور الراديو وانتشاره كوسيلة إعلام ديناميكية مؤثرة، غيرت جذرياً شروط الاتصال الإنساني، حيث دخلت فئات جديدة، وشرائح اجتماعية هائلة لتصبح جزءاً مهماً من الجمهور الإعلامي في ذلك الوقت لأن الصحافة في نظر لينين أداة لتربية الجماهير الشعبية. والإعلام في نظره حزام يربط الجماهير بالحزب ويدفعها نحو الالتحاق بالطبيعة.²

و تعتبر وسائل الإعلام السوفيتية مسئولة وحرّة كذلك ولكن مفهومها واستخدامها لمفهومي المسؤولية والحرية يختلف عن منظور الاتجاه الإعلامي الغربي الذي يعتبر وسائل الإعلام السوفيتية أدوات في يد الدولة وتكون بالتالي بعيدة عن استمتاعها بالحرية غير أن الموقف الرسمي السوفيتي يؤكد أن الإعلام السوفيتي هو أكثر ألوان الإعلام حرية في العالم وينظر إلى وسائل الإعلام الغربية على أنها أدوات في يد الطبقة الرأسمالية.

و يحدد ماكويل الأسس التي تقوم عليها هذه النظرية فيما يلي:

- 1- إن وسائل الإعلام يجب أن تخدم مصالح الطبقة العاملة، وتكون تحت سيطرة هذه الطبقة.
- 2- خطر الملكية الخاصة للصحف ووسائل الإعلام.
- 3- إن وسائل الإعلام يجب أن تخدم وظائف إيجابية للمجتمع، عن طريق التنشئة الاجتماعية، والتعليم والإعلام والتعبئة.
- 4- إن وسائل الإعلام يجب أن تستجيب لرغبات واحتياجات جمهورها ولكن في إطار المهمة الأساسية لها في المجتمع.
- 5- من حق المجتمع فرض الرقابة، والإجراءات والقيود القانونية الأخرى لمنع نشر أية أفكار ضد الاشتراكية أو العقاب على هذا النشر.
- 6- أن وسائل الإعلام يجب أن تعكس وجهة نظر موضوعية وكاملة للمجتمع والعالم طبقاً للمبادئ الماركسية اللينينية.

1- أحمد بدر وعبد غريب، مرجع سابق، ص 288.

2- فريال مهنا، مرجع سابق، ص 84-85.

7- الصحفيون هم مهنيون مسئولون تتمشى أهدافهم ومثالياتهم مع المصالح الأساسية للمجتمع.¹

و يعتبر الأنجلوسكسونيون النظام الإعلامي السوفيتي نظاما تسلطيا لأن الإعلام قد وصل إلى حالة احتكارية تفوق الغرب الرأسمالي، " أصبحت القدرة على تقديم المعلومات وتقويم أعمال السلطة الحاكمة ونقدها في الدول الشيوعية والدول التي تدور في فلك الاتحاد السوفيتي، احتكارا مطلقا للسلطة السياسية، ما جعله يجسد الإعلام الشمولي القائم على الأحادية الإعلامية الكاملة".²

و قد استمرت الأنظمة الشيوعية وتلك التي تخضع لنفوذها، في اعتماد هذه النظرية الإعلامية. ولم تتعرض النظرية للتبديل أو التعديل في ضوء التجربة الطويلة وتداعياتها ونتائجها إلا بتفكك الاتحاد السوفيتي الذي لم يعد يخدم هدفا محدد هو سيطرة الطبقة العاملة على مستوى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة وعلى مستوى العالم.

و بدأ انهيار النظرية الشيوعية عقب بروتستروكا جورباتشيف كمحاولة بناء أسس جديدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية للمجتمع السوفيتي. واتخذ جورباتشوف " الجلاسnost" العلنية أو المكاشفة أو المصارحة وهدفها خلق قوة دفع للجماهير السوفيتية للمساعدة في مواجهة وإضعاف القوى المعارضة للبروتستروكا ومشاركتها في عملية البناء الجديد. حيث أن وسائل العلنية (الجلاسnost) فهي بالضرورة وسائل الإعلام بمختلف أنواعها.³

(5) نظرية التنمية (Development theory):

يعترف ماكويل بصعوبة وضع بيان عام أو توصيف وضع وسائل الإعلام في الدول النامية بسبب الاختلاف الكبير في الأوضاع الاقتصادية والسياسية أو مع ذلك فإنه من الضروري أن نقوم بمحاولة بسبب عدم قدرة النظريات الأربع السابقة على توصيف أوضاع الإعلام في العالم الثالث وعدم انطباقها على هذه المجتمعات. ويرى ماكويل أن المصدر الأساسي الذي يمكن استقاء الأفكار منه حول أوضاع الإعلام في العالم الثالث هو تقرير اللجنة الدولية للإعلام (لجنة ماكبرايد).

ونقطة البداية عند ما كويل في تحديد نظرية منفصلة يمكن أن يطلق عليها نظرية الإعلام التنموي هي حقيقة أن هناك بعض الظروف المشتركة للدول النامية التي تحد من القدرة على تطبيق أي من النظريات السابقة.

ولكن هل يمكن أن تشكل الأفكار نظرية مستقلة لدول العالم الثالث؟ يطلق محمد سيد محمد على هذه النظرية (النظرية المختلطة)، حيث يرى أن نظم الإعلام في الدول النامية تشكل خليطا من النظريتين الليبرالية والشمولية (السلطوية والشيوعية) وهذا النظام هو ثمرة التجارب المريرة لبلدان العالم الثالث في البحث عن طريق ديمقراطي جديد بين ظروف محلية ودولية بالغة التعقيد.⁴

إن المشهد الأساسي الذي يحكم النظم الإعلامية في دول العالم الثالث هو التبعية، التبعية للسلطة، والتبعية

1 - سليمان سالم صالح، مرجع سابق، ص 8-9.

2- فريال مهنا، مرجع سابق، ص 87.

3- فاروق أبو زيد، انهيار النظام الإعلامي الدولي، مطابع الأخبار، جامعة القاهرة، 1991، ص 181.

4- فضيل دليو، مرجع سابق ص 46-47.

للنظام الإعلامي العالمي الذي يسيطر عليه المعسكر الغربي ولا بد أن تستهدف أية نظرية جديدة مستقلة للإعلام في دول العالم الثالث.

(6) نظرية المشاركة الديمقراطية (democratic participation theory) ¹

وتعتبر أحدث إضافة لنظريات وسائل الإعلام، ومعظم أفكارها موجودة في النظريات الأخرى، كما أن استقلالها كنظرية مازال محل تساؤل، ومع ذلك فإنها تمثل تحدياً للنظريات الأخرى، ومثل معظم النظريات فقد نشأت كرد فعل ضد نظرية أخرى وهي توجد بشكل أساسي في المجتمعات الليبرالية المتقدمة لكنها تضم بعض العناصر الموجودة في نظرية الإعلام التنموي، والمنبه الأساسي لهذه النظرية جاء كرد فعل للطابع التجاري، والاتجاه إلى الاحتكار في وسائل الإعلام الخاضعة للملكية الفردية، وببيروقراطية المؤسسات الإذاعية التي أقيمت على أساس نمط المسؤولية الاجتماعية.

فالدول الأوروبية التي اختارت نظام الإذاعة العامة بديلاً عن النموذج التجاري الأمريكي كانت تتوقع قدرة الإذاعة العامة على تحسين الأوضاع الاجتماعية والممارسة العاجلة للإعلام، ولكن الممارسة الفعلية لوسائل الإعلام أدت إلى حالة من الإحباط وخيبة الأمل بسبب التوجه الصفوي لبعض منظمات الإذاعة والتلفزيون العامة واستجابتها للضغوط السياسية والاقتصادية ولمراكز القوى في المجتمع كالأحزاب السياسية ورجال المال ورجال الفكر.

ويعبر مصطلح "المشاركة الديمقراطية" عن معنى التحرر من وهم الأحزاب والنظام البرلماني الديمقراطي في المجتمعات الغربية والذي أصبح مسيطراً على الساحة ومتجاهل الأقليات والقوى الضعيفة في هذه المجتمعات، وتتطوي هذه النظرية على أفكار معادية لنظرية المجتمع الجماهيري الذي يتسم بالتنظيم المعقد والمركزية الشديدة والذي فشل في توفير فرص عاجلة للأفراد والأقليات في التعبير عن اهتماماتها ومشكلاتها.

وترى هذه النظرية أن نظرية الصحافة الحرة (نظرية الحرية) فاشلة بسبب خضوعها لاعتبارات السوق التي تجردها أو تفرغها من محتواها، وترى أن نظرية المسؤولية الاجتماعية غير ملائمة بسبب ارتباطها بمركزية الدولة، ومن منظور نظرية المشاركة الديمقراطية فإن التنظيم الذاتي لوسائل الإعلام لم يمنع ظهور مؤسسات إعلامية تمارس سيطرتها من مراكز قوى في المجتمع، وفشلت في مهمتها وهي تلبية الاحتياجات الناشئة من الخبرة اليومية للمواطنين أو المتلقين لوسائل الإعلام.

وهكذا فإن النقطة الأساسية في هذه النظرية تكمن في الاحتياجات والمصالح والآمال للجمهور الذي يستقبل وسائل الإعلام، وتركز النظرية على اختيار وتقديم المعلومات المناسبة وحقوق المواطن في استخدام وسائل الاتصال من أجل التفاعل والمشاركة على نطاق صغير في منطقته ومجتمعه، وترفض هذه النظرية المركزية أو سيطرة الحكومة على وسائل الإعلام ولكنها تشجع التعددية والمحلية والتفاعل بين المرسل والمستقبل والاتصال الأفقي الذي يشمل كل مسؤوليات المجتمع؛ ووسائل الإعلام التي تقوم في ظل هذه النظرية سوف تهتم أكثر بالحياة الاجتماعية وتخضع للسيطرة المباشرة من جمهورها، وتقدم فرصاً للمشاركة على أسس يحددها الجمهور بدلاً من المسيطرين عليها.

1- سليمان سالم صالح، مرجع سابق، ص 10-11.

ويلخص ماكويل (Mc Oail) عناصر هذه النظرية فيما يلي:¹

- 1- أن المواطنين الأفراد وجماعات الأقلية لهم الحق في الاتصال عبر وسائل الإعلام والحق في إن تقوم وسائل الإعلام بخدماتها طبقا لتحديد المواطن وجماعات الأقلية لاحتياجاتها.
- 2- إن تنظيم ومضمون وسائل الإعلام يجب ألا يخضع لسيطرة أو بيروقراطية من جانب الدولة.
- 3- إن وسائل الإعلام يجب إن توحد بشكل أساسي من أجل جماهيرها، وليس من أجل منظمات، ووسائل للإعلام أو المهنيين.
- 4- إن الجماعات والمنظمات، والمجتمعات المحلية يجب أن يكون لها وسائل إعلامها الخاصة.
- 5- إن أفضل أشكال الإعلام هي وسائل الإعلام الصغيرة التي يمكن من خلالها تحقيق التفاعل أو المشاركة السياسية.
- 6- هناك احتياجات اجتماعية معينة تتعلق بوسائل الاتصال لا يتم التعبير عنها بشكل كاف من خلال مطالب المستهلك الفرد، ولا من خلال الدولة أو مؤسساتها الرئيسية.
- 7- إن الاتصال مهم جدا لدرجة لا يمكننا معها تركه للمهنيين وحدهم.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

القواميس:

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، ج 2 من (ح إلى د)، المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

الرسائل الجامعية:

- 1- صالح سليمان سالم، " مفهوم حرية الصحافة: دراسة مقارنة بين جمهورية مصر العربية والمملكة المتحدة في فترة من 1945-1985 " رسالة دكتوراه جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة 1991

الكتب:

- 1- أحمد رشتي جيهان، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.
- 2- السيد فهمي محمد، تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995
- 3- العبد عاطف عدلي، الاتصال والرأي العام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993
- 4- أحمد حماد محمود، الإعلام والدعوة بين التكامل والتضاد، دار السعادة للطباعة، دون مكان النشر، 1994

- 5- النعيمي حازم، الحرية والصحافة في لبنان، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.

- 6- الطعيمات هاني سليمان، حقوق الإنسان وحرياته، الأساسية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2003.

- 7- أبو عرجة تيسير، دراسات في الصحافة والإعلام، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2000.

- 8- إحدادن زهير، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات

¹ - المرجع نفسه، ص 13.

الجامعيات، الجزائر، دون تاريخ

9- أبو عرقوب إبراهيم، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي، الأردن، 1993.

10- بدر أحمد وغريب عبده، الاتصال بال جماهير: بين الإعلام والتطويع والتنمية، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1998.

11- حسن حمدي، مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987،

12- حسن إسماعيل محمود، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العالمية، الكويت، 2003،

13- حمزة عبد اللطيف، الإعلام والرعاية، دار الفكر العربي القاهرة، 1984

14- حاتم محمد عبد القادر، الرأي العام وتأثير بالإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

1993

15- حمادة بسيوني إبراهيم، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه (21)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.

16- دليو فضيل، وسائل الاتصال وتكنولوجياته، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، دون تاريخ.

17- ريفرز وليام.ل. وآخرون، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975

18- عماد مكايي حسن، أخلاقيات العمل الإعلامي: دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،

1994.

19- عبد الحميد محمد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، 1997

20- فاروق أبو زيد، انهيار النظام الإعلامي الدولي، مطابع الأخبار، جامعة القاهرة، 1991

21- كامل محمد عبد الرؤوف، مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،

1995

22- محمد جابر سامية، الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث: النظرية والتطبيق، دار المعرفة

الجامعية، الإسكندرية، 1995

23- مهنا فريال، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر – دار الفكر المعاصر، دمشق –

بيروت، 2002،

24 - محمد عمر الطنوبي محمد، نظريات الاتصال، مطبعة الإشعاع الفني، الإسكندرية، 2001.

25- ميرل جون ولونشتاين رالف، الإعلام وسيلة ورسالة، تعريب ساعد خضر العربي الحارثي، دار

المريخ، السعودية، 1989

26- محمد حسين سمير، الإعلام والاتصال الجماهيري والرأي العام، ط 2، عالم الكتب، القاهرة، 1993

27- ماكبرايد شون وآخرون، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا، اليونسكو /

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

المؤتمرات:

1- أبو إصبع صالح، " الكلمة والمصداقية عربيا بين ثوابت الثقافة ومتغيرات الإعلام "، تقرير عن مؤتمر الكتاب والأدباء العرب، رابطة الكتاب الأردنيين، ديسمبر 1992.

لمحاضرات:

1- بومعيزة سعيد، " مدخل إلى علوم الاتصال " محاضرات ألقيت على طلبة السنة الأولى، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 1991 – 1992) غير منشورة.

المواقع على الأنترنت:

1<http://www.2dab.org/vb/archive/index.php?t-2756.html>

2<http://alredwan.jeeran.com/bohuthi3lamia/archive/2006/4/36740.html>

المراجع باللغة الفرنسية:

الكتب:

1- BAYLEN. Christian et MIGNOT. Xavier, **la communication** ; collection Fac linguistique , 2^{ème} edition , Edition NATHAN , France , 1999.

2- BALLE. Francis , **Médias et société** , 3^{ème} édition ; Montchrestien , paris , 1984.

3- PINTO. Roger., **la liberté d'information et d'opinion en droit international** , collection Etudes juridiques comparatives et internationales , Economico , Paris , 1984

4 -THOVERON. Gabriel , **Histoire des médias** , collection MÉMO , édition du seuil , paris 1997,.

المقالات:

1- ROTTER. Gernot, « **La liberté d'expression et civilisation: un dialogue des cultures** », Revue Deutschland ,Almagne N°1, Ferrier- Mars 2000.

المراجع باللغة الإنجليزية:

1- BERTRAND. Claude - Jean, **Media ethics and accountability systems**,Transaction publishers, New brunswick ,New Jersey (USA) ,2000.